

فد المارك

لمحات

عن التطور الفكري في جزيرة العرب

في القرن العشرين



١٣٨٢ هـ - ١٩٦٤ م

مطابع ابن زيدون بدمشق

حقوق الطبع والنشر محفوظة

BOBST LIBRARY



3 1142 02841 3774



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

New York University
Bobst, Circulation Department
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Web Renewals:
<http://library.nyu.edu>
Circulation policies
<http://library.nyu.edu/about>

THIS ITEM IS SUBJECT TO RECALL AT ANY TIME

New York University Bobst Library JUL 26 2009 Interlibrary Loan POST LIBRARY RETURNED		

NOTE NEW DUE DATE WHEN RENEWING BOOKS ONLINE



فهد المارك Fahd al-Mārik

Lamahat 'an al-taṭṭawūr...

لمحات

عن التطور الفكري في جزيرة العرب

في القرن العشرين

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مطابع ابن زيدون بدمشق

١٩٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

Near East

HN

761

.S28

.M3

e.2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لهفدرك

الى روح جامع شتات ابناء الجزيرة العربية ، وموحد كلمتهم ،
عبد العزيز آل سعود ، والى اي زعيم عربي يوفق لتوحيد شمل امة
الضاد ، مهما قست اسباب هذا التوحيد ومهما ارتفعت اسهم
التضحية في سبيله ، والى الشيوخ في همة الشباب ، والى الشباب
في حنكة الشيوخ :

اقدم الى هؤلاء جميعا هذا السفر ، تاريخاً من الماضي ،
ومرآة للحاضر ، وخطة في المستقبل .

فهد المارك

شكر

بوجودكم في هذا اليوم المبارك
والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

الحمد لله

التمهيد

لو شئت ان اكتب عن التطور اندي حدث في الجزيرة العربية ، منذ مطلع القرن العشرين حتى هذه الفترة ، كتابة شاملة وافية ، لكل معنى من معاني التطور ، لو شئت ان افعل ذلك لاحتاج الامر الى زمن طويل ، والى كتابة سفر ضخيم ، ولذلك آثرت ان اختصر الكتابة ما استطعت عن التطور الكائن ضمن نطاق محدود ، راجيا ان يكون لي من وقتي ما يتيح لي في المستقبل ان اكتب عن التطور بصورة اشمل واكمل .

اما الآن فحسبي ان تكون كتابتي مقتصرة ، على النواحي الميينة ، وبخاصة ماله تاثير وعلاقة ماسة بتطور الفكر ، ثم مدى هذا التطور العنيف المفاجيء ، الذي يعجزني التعبير عنه مهما حاولت الى ذلك سبيلا ، وغاية ما املك هو ان اقدم للقارئ صورة مصفرة يستطيع بها ان يستنتج الحكم كمقياس محسوس يحكم به .

واعني بالقارئ ذلك الذي لم يتاد له ان يعرف شيئا عن مقدار ما عناه جيل الجزيرة بالامس الادنى القريب ، من ركود الذهن ، ثم ما يتمتع به اليوم نفس هذا الجيل من سمو الوعي ويقظة الفكر ، واني اذ احاول ان اقدم دليلا ملموسا يحكم به على ما اشير اليه ، فلن اجد دليلا اجلي واولى من ان اقول اننا بقدر مانصطنع المقارنة في سرعة تطور حياة جيل الجزيرة ، من الناحية التقليدية : من ركوب

الجمال منذ سنين قليلة جدا ، الى ركوب الطائرة النفاثة ، اجل بقدر ما يكون هذا البون شاسعا بين هاتين المرحلتين ، من الناحية الاجتماعية للجيل الذي ادرك الاولي بالامس ويعيش الثانية اليوم ، يكون الفرق بعيدا الى مالا نهاية ، لهذا الجيل بالذات من الناحية الفكرية .

وعلينا ان ندرك بان هذا التطور الفكري المذهل ، قد لا يكون شاملا لجيل الجزيرة بصورة عامة ، فقد تجد مواطنا كهلا قضى الكثير من عمره في عهد انجمال ، ولكن تفكيره الراهن انما هو تفكير جيل الصاروخ ، كما انك تجد فتى لم يدرك عهد الجمال ، ولكن تفكيره بلغ من الاسفاف والانحطاط ، درجة تفوق على مستوى تفكير جيل الجمال .

هذا وقد يكون حديثي عن شرقي الجزيرة ، وشمالها ، اكثر اتساعا منه عن نواحي الجزيرة الاخرى ، مع العلم بان الجزيرة كلها ، وحدة لا تنفصل ، وجزء لا يتجزأ ، وانما هناك سبب رئيسي يجعلني اتقيد بالكتابة اكثر عن هاتين الناحيتين ، وهو اني ابي ان اسير القلم في موضوع لم اخذ له اهتبه ولم اتم به جيدا .

ولما كنت كمواطن عاش في تلك النواحي ، اي شرقي وشمال الجزيرة ، اكثر مما عشت في غيرها ، فقد يسهل علي ان اتحدث عن مدى التطور الفكري ، الذي راينته بتلك البلاد راي عيان ، وبصورة مفصلة اكثر توضيحا من غيرها .

ولا شك في ان التطور الصناعي والتطور العلمي منذ مطلع القرن العشرين ، كلاهما كان مدهشا حقا في شتى انحاء البلاد المتحضرة ، ولكن نسبة تطور الوعي ، في شبه الجزيرة لا يمكن ان تقاس سرعته بالنسبة لبلاد اخرى ، والسبب الرئيسي في ذلك هو ان هذا التطور انما وقع فجأة وبصورة مذهلة جدا .

وليس في مقدور احد ان يتصور مقدار هذا التطور ، اللهم الا من عرف كيف كانت عليه الجزيرة بالامس ، ثم ما هي عليه اليوم . من ثم يمكنه ان يدرك مدى التطور الفكري العنيف ، الذي لم يبلغ من العمر اكثر من عشر سنوات لا اكثر ، ففي خلال هذه الفترة الوجيزة استيقظ الوعي وتطور الفكر في شبه الجزيرة تطورا يكاد يكون ضربا من الوهم والخيال ، وبصرف النظر عن كون هذا التطور كله حسنا

بالنسبة لبعض المفاهيم ، أو قبيحا بالنسبة للمفاهيم الأخرى ، فإن هذا الشيء لم يكن موضع البحث الذي نحن بصدده ، وإنما المهم ، بالنسبة لبحثنا هذا هو أن نشير الى بعض النقاط الحساسة ، التي كان المجتمع أو السواد الأعظم من الشعب يؤمن بصحة صوابها كعادات راسخة ، وإذا به الآن يتنكر لها ، ويخجل الكثير من أنفسهم عندما يذكر أحدهم إيمانه بتلك العادات ، كما أن هناك أشياء كان يحاربها بعنف وضراوة ، وذلك منذ عهد قريب جدا ، فأصبح الآن يجلبها ويقدها ، بل ويدافع من أجلها بقدر ما كان الى قريب يعادها .

إن شعبا لديه من المواهب الفطرية ما يجعله يتطور في سرعة خارقة بمثل هذه المدة الوجيزة ، لجدير به وإيم الحق لا تمضي به مدة مماثلة للمدة الأولى ، حتى ينتهي به الوعي الى أن يعيب بعض ما يستسيغه اليوم ، وتلك سنة التطور التي فطرها مبدع الكون ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

كل هذه المعاني التي يستحسنها الشعب اليوم وكان حربا عليها بالأمس ، والتي استساعها بالأمس القريب وإذا هو لعهدنا لا ينفر مثل ما ينفر منها . كل ذلك سوف نذكر منه ما يمكننا ذكره في هذا البحث ، مستمدا ذلك من صميم الواقع ، ومن خبرتي ، وذكريتي ، ومشاهداتي لتطور الوعي ، الذي جاء كنتيجة حتمية لأسباب عديدة ، ولا أستطيع أن أحكم حكما قاطعا بأن أهم تلك الأسباب هو العلم كما هو المفروض أن يكون ، فالعلم بلا شك عامل أساسي ، في نمو الوعي ، وتطوره ، ولكن إذا شئنا أن نقارن بين نسبة المتعلمين علوما عالية ، في جزيرتنا العربية ، وبين نسبة النفر الذين لم تتح لهم الفرصة ليتعلموا العلوم المقررة في المعاهد المختلفة ، اللهم إلا العلوم المحدودة بالجهد الفردي الخاص ، فإننا لنجد أن منهم من بلغ من سمو الوعي درجة لا تقل عما بلغه أولئك المتعلمون علوما عالية .

أقول إذا شئنا أن نجعل هذه المقارنة قاعدة في الحكم ، فإننا سوف نجد نسبة المتعلمين قليلة جدا ، فيما إذا شئنا أن نحصر نمو اليقظة الفكرية ، وتطور الوعي عند المتعلمين من حملة الشهادات العالية . وهذا ما يجعلني على مثل اليقين بأن العلم وإن يكن لاسبيل سواه

لصقل المواهب، وازكاء الوعي ، بل ولا قيمة للامة الا بقدر نصيبها منه، فهو كما اسلفت ، لم يكن السبب الاوحد في تطور الوعي وشيوعه بين صفوف المواطنين على اختلاف طبقاتهم ، وانما كان في مقدمة الاسباب الموضحة كالآتي :

١ - المذياع ((الراديو)) .

٢ - الاتصال المباشر بالعالم الخارجي .

٣ - المطبوعات ، كالصحافة والكتب الحديثة ، وخاصة المترجم منها .

كل هذه النقط كانت من العوامل الاساسية ، في تحلل الفكر من اساره ، ونمو الوعي وانتشاره ، وذبوع التقدم وازدهاره .



المقدمة

من بدهيات الأمور أن الحياة العامة ، التي تعيشها الامم ، سواء منها الاجتماعية أو الثقافية ، كل من هذه وتلك لها صلة مباشرة في نمو الوعي وازدهار الفكر ، فيما اذا كان المجتمع يعيش في أمان من رفاهية العيش ، ويأخذ قسطا وافرا من المعرفة ، ومن العناية الصحية ، ومن التكافل الاجتماعي ، والامر على العكس اذا لم تتح الفرصة للشعب أن يستمتع بشيء من هذه المعاني .

وعلى هذا الاعتبار تكون نسبة الوعي الشعبي ، من سمو وانحطاط متصلة اتصالا لا ينفصل ، بقدر ما يتمتع ويرفل ، بشيء من المعاني المذكورة ، ولذلك ، يطيب لي أن أصف شيئا من حياة شعب شبه الجزيرة بصورة شاملة ، في شتى مرافق الحياة بقدر المستطاع ، ولا أريد أن أذهب بالقارئ الى مدى بعيد من التاريخ ،

بل أود أن أحدد الفترة الكائنة منذ فجر القرن العشرين ، حتى
بداية تطور الوعي الراهن ، ولست بحاجة للتأكيد فيما اذا قلت أن
الاطوار التاريخية التي اجتازتها الجزيرة ، خلال هذا القرن ، تنقسم
الى ثلاثة أطوار :

الطور الاول :

يبتدىء من مطلع القرن العشرين حتى آخر الربع الاول منه .

الطور الثاني :

يبتدئ من عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٥٠

الطور الثالث :

يبتدىء من منتصف هذا القرن حتى عامنا هذا ١٩٦٢

والذي تجدر الاشارة اليه هو أن الحياة العامة في الفترة
الاولى هي بلا شك امتداد للحياة الجاهلية الاولى ، بل هي صورة
طبق الاصل عنها ، اللهم الا ماله اتصال بالعبادات ، وبعض العادات ،
كقتل المؤرودة وغيرها من العادات الجاهلية التي قضى عليها الاسلام ،
ولكنه لم يقض قضاء نهائيا على بعض العادات الاخرى كالغزو
والنهب ، والتطاحن العشائري ، بين قبيلة واخرى ، والتميز القبلي
بين مواطن ومواطن ، كل هذه الاشياء ظلت على ما هي عليه ، حتى
نهاية الفترة الاولى ، كما سنوضح ذلك في البحث الآتي بعون الله .

الفترة الاولى

طبعة الثانية

الناحيتان الاقتصادية والاجتماعية

كانت البلاد تعاني من البؤس والحرمان أشد ما توصف به من سوء الحالة في شتى النواحي العامة ، ولنأت الآن على ذكر الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فلقد كانت المعيشة في تلك الفترة قاسية جدا ، فالقوت الرئيسي التمر بالدرجة الاولى ، ثم يأتي من بعده البر ، واما الرز فقد لا يوجد بصورة مستمرة الا عند القليل من الأغنياء ، مع العلم انه لا يوجد في البلاد طبقة من الاثرياء أصحاب الثراء الفاحش .

وقد تحل بالبلاد أحيانا بعض أزمات ، فلا يتيسر لأكثر المواطنين الفقراء حتى التمر ، وكانت المجاعة ، كما نقل لنا بعض الشيوخ ، تبلغ من القسوة درجة تجعل بعضا من المواطنين ، يأكل العشب ، وقد تتضاعف هذه القسوة الى الحد الذي يجعل البعض الآخر يحفر

بيوت النمل ليستحصل على حبيبات الشعير التي سبق للنمل أن
ادخرها في أيام الحصاد مؤونة للشتاء •

هذه صورة مصغرة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، في
الفترة التي أعني •



الناحيتان الزراعية والصحية

أما من الناحية الزراعية فليس ثمة شيء يذكر البتة ، بل لم يكن آنئذ أية آلة زراعية أو انهار أو سدود ، وكل ما في الامر هو ان الماء يخرج من قعر الارض من الآبار التي يبلغ عمقها عشرين مترا بواسطة الجبال ، ولا يخلو الامر من وجود عيون ولكنها مما لا يستفاد منه على الوجه المطلوب •

وأما عن العناية الصحية فحدث عن فقدانها ولا حرج ، فالملاريا وذات الجنب والتيفوئيد ، كل هذه الاوبئة كانت تفتك بالأسر والجماعات ولا علاج لها الا النار ، على يد شخص متطفل على الطب كان يحمل مجموعة من أسياخ الحديد ، فما يصاب أحد بأي مرض الا كان علاجه بالنار عند حضرة الطبيب الفاضل ، اذ ينضج جسده بأسياخ الحديد المحماة والتي تكون أشد حمرة من الجمر • ولا يرفع الطبيب الماهر يده عن جسد المريض حتى يثق

بأنه تمكن من انضاج لحمه ، ولذا قل أن نجد فردا سلم جسده من
أثر هذه الاسباخ •

أما الجدري الذي يعبث بالاجساد ويطفىء نور الابصار ،
ويزهق الأنفس ، هذا المرض الخطر قد يكون ضرره في جنوبي
الجزيرة أكثر منه في شمالها ، لان أهالي الشمال كانوا يكافحونه
بالتلقيح الشيء الذي كان لا يستعمل وقتذاك في الجنوب •

و كنت أذكر أن صديقنا الاستاذ عبد الله ابن خميس كتب مقالا
في صحيفة من صحف المملكة طالب فيه بأن توضع وقاية للاوبئة
التي تعدي كالجدري وامثاله ، وكم كان الاستتكار كبيرا من كاتب
تصدى لمهاجمة الاستاذ ابن خميس معتقدا ان كتابة الاستاذ عبد الله
ومطالبته بوضع وقاية للجدري انما تدل على عدم الايمان بقضاء
الله وقدره •

ولعل القارىء يظن أن حضرة الكاتب المتزمت كانت كتابته
بعيدة العهد ، أو في الفترة الاولى التي نحن بصدد الكتابة عنها ،
قد يتخيل القارىء ذلك • ولكن الواقع هو ان الكتابة كانت بعد
منتصف القرن العشرين ، ومن هنا يبدو جليا مدى سرعة التطور
الفكري الذي طرأ على بلاد كان فيها من يظن به انه من رجال
الفكر ، أو يظن هو بنفسه انه من رجال التوجيه ، ومع ذلك ينكر
ويهاجم كاتبها دعا الى الأخذ بالوقاية الصحية من الجدري •

الناحية الثقافية

هذا ولست أعتقد اني واجد ما يدعو الى الاطمئنان أو الغبطة
عندما أتحدث عن الناحية الثقافية ، لابتلك الفترة فحسب ، بل
حتى في الفترة التي تليها اذ لم يكن ثمة أية مدرسة علمية وفق
النماذج الحديثة ، لاثانوية ، ولا ابتدائية • أجل لم يكن هناك في
شرقي الجزيرة وشمالها أي شيء من هذا النوع ولا ما هو منه
قريب •

وغاية الامر هو أن يتعلم الطالب قراءة المصحف الشريف فقط
عند معلم بحاجة الى أن يعلم هو قبل أن يكون معلما ، وحتى قراءة
القرآن لم يكن هناك مقرئون على الوجه الصحيح ، مع العلم انه
يوجد من يحفظ القرآن كله غيبا ، ولكن ليس على الوجه الاكمل
من ناحية التجويد ودراسة مختلف القراءات • كما أن من يدرس
اللغة العربية قليل جدا ومن يدرسها طبعاً أقل ، وأما الصرف والبلاغة

والبيان ، فهذه كلها لا يوجد من يقرأها أو يقرأها ، فان وجد كان كالمعدوم .

وأما الحديث عن العلوم الرياضية ، فانه كالحديث عن العنقاء . وأقصى درجة من درجات العلم هو العالم الذي يتخصص بدراسة الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل ، فاذا بلغ درجة من الاجتهاد والنجاح ، أصبح له الحق أن يكون قاضيا شرعيا . واما الصحافة فما كان في شرقي الجزيرة وشمالها أية صحيفة ، لا يومية ولا أسبوعية ، بل ولا حتى شهرية ، وحتى لو حصل المستحيل ووجدت صحافة فانه لا يوجد كاتب واحد من أهل البلاد يستطيع أن يحرر بها . وأما الأدب فانه لا يوجد أيضا شاعر يشار اليه بالبنان ، عدا المرحوم محمد بن عبد الله بن عثيمين ، وهذا الشاعر على جزالته لم يطرق أبواب الشعر على مختلف أنواعه ، وانما كان شعره مقصورا على مدح الحاكم ، أو الرثاء وما شابه ذلك .

وقد كان الأدب الشعبي هو السائد ، فهو الذي يقوم مقام الصحافة ، حيث كان الشعر القومي المألوف هو شعر الحماسة . وأكثر من برز بهذه الناحية ولعب الدور الخطير هو المرحوم الشاعر محمد العوني المتوفى عام ١٣٤٢ الموافق لعام ١٩٢٣ ميلادية .



ناحية المواصلات

كانت وسائل النقل في الجزيرة في الفترة التي نتحدث عنها محصورة بالابل في المسافات البعيدة ، واما الاتصال المباشر بين المدن وقراها فأغلب ما يكون على الحمر الأهلية • ولم يكن ثمة أية سيارة واحدة في الجزيرة كلها ، اللهم الا سيارة واحدة من نوع مرسيدس جاءت لأمير المنطقة الشمالية وقتذاك سعود ابن رشيد أي عام ١٩١٥ ، وقد أحدث مجيء هذه السيارة ضجة فعالة بالنسبة لجيل ساكني الجزيرة ، فمن قائل انها عمل ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى ، وآخرون يزعمون انها من صنع الجنة والشياطين • والواقع أن مجيء السيارة المذكورة في تلك الفترة أحدث بلبلة في الافكار وخلافا في الرأي ، وكان الاستنكار أعنف وأشد بالنسبة لمن لم يشاهدها من ساكني الجزيرة ، وعلى ذكر تلك السيارة لا أرى بدا من ذكر حادثة هي الى النكتة أقرب منها الى

الجد ، ولما كانت القصة حقيقة واقعية فانه لا بد لي من ذكرها
موضحة كالآتي :

كان مواطن يدعى محسن الغلث « أدركته في آخر حياته » ،
هذا الشخص شاء القدر أن يكون أول مواطن يرى هذه السيارة
من ساكني الجزيرة أجمع •

كان محسن سائرا بمفرده في الصحراء ، ممتطيا ظهر ذلوله
النجبية ، ميمماً بلدة حائل عاصمة أمانة آل رشيد وقتذاك ••
وكانت سيارة « المرسيدس » قادمة من الشام يقودها فتى تركي ،
ويهديه السبيل نفر من نفس أهالي بلدة حائل قاصدين في سبيلهم
نفس البلد الذي اتجه نحوه محسن ، وبمحض المصادفة التقى
محسن والسيارة وجها لوجه في الصحراء ، على مسافة تبعد عشرة
كيلو مترات عن بلدة حائل ولم يسمع محسن بالسيارة من قبل ،
ولو سمع بها فانه لم يصدق ولن يصدق قطعياً أن هناك قوة في
الدنيا تحمل البشر والاثقال بصورة أسرع وأعظم مما تحمله ذلوله
الأصيلة •• هذا الشيء لا يمكن أن يؤمن به محسن ، وحتى لو
رآه شاهد عيان فانه لا يؤمن به ولن يؤمن بأن ذلك من صنع البشر ،
بل هو بحسب تفكير محسن من صنع الشيطان ، ذهل محسن
عندما رأى هذا الشيطان اللعين متجها نحوه بسرعة خارقة لم يسبق
أن شاهد مثلها ، فدهش وفر هارباً على ظهر ذلوله معتقداً أنه ينجو

وأخيرا قرر محسن أن ينجو بنفسه وراحلته من هذا المنظر
الشيطاني ، قاصدا بلدته « حائل » حتى اذا لحقه هذا « البعيع »
فانه سوف يقاومه ببندقية التي وضعها بين يديه ، وهدد ركاب
السيارة قائلا : أنا أعرف أن الاصوات والاشخاص هي أصوات
وأشخاص فلان وفلان، ولكن الحقيقة هو انكم شياطين، استطعتم
أز تمثلوا بصوت وشخصيات رفاقي حتى تخادعوني ، ومضى
محسن بحديثه الى أن قال : ولكني أنذركم بأن لا تدنوا مني وان
دنوتم فاني سوف أطلق عليكم النار ، وأدافع دون دمي الى آخر
نقطة منه •

وقد ذهب الشياطين عن محسن عندما أصدر قراره النهائي
واتجهوا نحو البلد ، وهذه المصيبة لم يحسب لها محسن حسابا ،
وقد حاول أن يجهد ذلوله قاصدا أن يدخل البلاد قبل أن يدخلها
هذا العفريت الذي سوف يلتهم البلاد ومن فيها ، ولكن محاولته
باعت بالفشل طبعا • هذا وان ما يقال عن محسن عندما رأى
السيارة ، وما داعب تفكيره وما دار في ذهنه من الخيال والاوهام،
هو نفس ما يقال عن العقل والتفكير الذي يحمله ذلك الجيل
المعاصر لتلك الفترة ••

ومن أوضح الأدلة على ذلك هو ان تلك السيارة بعدما انتهى
وقودها أدخلت المستودع ، وبعدها احتل المرحوم الملك عبد العزيز

أمانة آل رشيد في يوم ٢٩ صفر ١٣٤٠ هـ الموافق لشهر نوفمبر عام ١٩٢١ كان المقروض أن يجلب وقود لهذه السيارة ليستعملها الملك، ولكن الجنود المخلصين لم يتركوا للملك عبد العزيز فرصة التفكير باستعمالها ، بل كان أول عمل مقدس تقربوا به الى الله هو أن حطموها ، على أنها من صنع الابالسة ، تحطيمنا عينا لم يبق منها شيئا ولم يذر .

تلك صورة مصغرة عن تفكير ساكني الجزيرة في تلك الفترة بل وما بعدها بمدة ليست بالقليلة .

هذا وقد جلب الملك عبد العزيز في عام ١٩٢٤ سيارة كان يستعملها لركوبه الخاص ، ولم ترد للجزيرة سيارات أخرى بصورة عامة الا بعد عام ١٩٣٠ . ولشد ما كانت الدهشة والمفاجأة عندما جاء اللاسلكي للبلاد . وقد كانت الضجة الكبرى والمعارضة الشديدة من قبل رجال الدين أكثر من غيرهم . واذا كان رجال الدين الذين بيدهم أزمة الفكر الشعبي والتوجيه القومي يعتقد الكثير منهم أن استعمال اللاسلكي رجس من عمل الشيطان ، وان آلة الارسال لا تتحرك الا بعد أن يذبح محركوها كبشا أسود كقربان للشياطين ، وان لم يفعل ذلك القائمون عليها فان المحرك لا يشتغل وأجهزة الارسال لا تسير أبدا ، أقول اذا كان رجال الدين يؤمنون بمثل هذه الخرافة فما بالك بسواد الشعب الذين هم أداة

بيد رجال الدين يؤمنون بكل ما يحللونه، ويحرمون كل ما يحرمونه؟

ولعل المجادلة التي وقعت بين المغفور له عبد العزيز بن ابراهيم أمير المدينة سابقا وبين المواطن المرحوم المدعو « صراع » لعل تلك المجادلة تعبر بأبلغ تعبير عن مدى تفكير المواطنين في تلك الفترة ، كان « صراع » شديد الايمان بالرأي القائل ان اللاسلكي سحر من صنع الشياطين لا من صنع البشر . وقد حاول الامير ابن ابراهيم أن يقنعه عبثا ، وليس من السهل أن يقنع ، وكانت المشكلة بالنسبة لابن ابراهيم هي أن صراعا معروف لدى الدهماء بسرعة البديهة وقوة الحجّة ، ورسالة المنطق ، واقناع شخص كصراع أو اقامة الدليل القاطع على مثله يكون بمثابة اكتساح عدد كبير من المواطنين ، بتغيير أفكارهم ، فيجب والحالة هذه أن يجمع ابن ابراهيم كل ما لديه من الأدلة العلمية والحجج المنطقية التي تثبت بأن اللاسلكي من انتاج الفكر الانساني ، وان لاعلاقة للسحرة والشياطين به البتة . وقد كانت المجادلة بين الامير و « صراع » على الشكل الآتي :

الأمير : بصفتك يا صراع صاحب منطق وحجة ، لذلك فاني سوف أقدم لك حجة منطقية تثبت بأن اللاسلكي من صنع البشر لا من صنع السحرة والمشعوذين كما تتوهم .

صراع : وما هو دليلك المقنع على ذلك ؟ .

الامير : فلنذهب واياك الى جهاز اللاسلكي ، وعلي أن أمر
المسؤول عنه بتحريك جهازه أمامك ، وفي حالة تحرك جهاز
الارسال ، أريدك أن تفك أنت بيدك آلة من آلاته ، وبعد ذلك
انظر الى آلة اللاسلكي بكاملها هل تتحرك وتسير في عملها كما
كانت من قبل ؟ أم ان الجهاز سوف يتعطل عن العمل بكامله ؟ ثم
مضى الأمير قائلاً : فان تعطل الجهاز عن الحركة فهذا دليل واضح
على أنه يسير بآلات صناعية ، ولا علاقة للسحرة والشياطين به .
وان لم تؤثر الآلة المسحوبة منه فعندئذ نوافقك على الرأي بأن هذه
العدة بكاملها من أعمال السحرة كما تعتقد ؟

صراع : هل يعتقد الامير بأن الاعمال التي تقوم بها النساء
اللائي يجمعن قطعاً من الصدف والزجاج والخرز ، ويستعملنه
لكشف علم الغيب ؟؟ هل تعتقد بأن هذا العمل صناعي ؟ أم انه من
أعمال السحرة والدجالين ؟؟

الأمير : - طبعاً ان هذه الاعمال لاعلاقة لها بأعمال الصناعة
كاللاسلكي ، وانما هي من أعمال المضللين .

صراع : اذن فلنذهب سوياً الى إحدى النساء اللواتي يستعملن
هذه الاعمال وعندما تباشر المرأة عملها ، اذن منها أنت بذاتك ،
واسحب منها خرزة أو زجاجة من آلات تضليلها ، وانظر اليها بعد
ذلك هل تستمر في أعمالها أم انها سوف تشعرك بأن عملها توقف

عن مجراه الطبيعي ، وبطل كبتلان عمل صاحب اللاسلكي عندما
يسحب منه مسمار من مسامير عدته ؟•

وكانت نهاية المجادلة أن تغلب منطق الجهل على حجة العلم ،
كما كان لهذه المجادلة أثرها المعاكس بالنسبة لمن وصلت اليه من
المواطنين الذين لا يؤمنون بأن ثمة قوة كاللاسلكي تنقل الحديث
من قارة الى أخرى بأي سبب من أسباب العلم الحديث ، فان كان
لابد لهم من الايمان ، فانهم لا يؤمنون الا من ناحية واحدة وهي
ان هذه الآلة الصناعية - أي اللاسلكي تمت بالاتفاق مع الشياطين،
والجان ، والسحرة •

هذا ولم تكن المناظرة التي جرت بين ابن ابراهيم و « صراع »
فريدة من نوعها ، بل حدث كثير من أمثالها ، وعلى سبيل المثال
لاعلى سبيل الحصر ، أود أن أذكر مناظرة أخرى جرت بين الشيخين
المرحومين : الشيخ عبد الله بن بليهد والشيخ عمر بن سليم ،
وكلاهما من مشاهير علماء الدين •

وقد كان الاول يعتقد باباحة استعمال اللاسلكي من الناحية
الشرعية الاسلامية ، بينما يرى الثاني بأنه من صنع الشيطان الرجيم
المحرم استعماله • ولكن في هذه المناظرة تفوق منطق العلم الذي
يمثله ابن بليهد على المنطق الثاني الذي يتمثل بابن سليم ، وكان
الحوار بين الشيخين على النهج التالي :

قال الشيخ ابن بليهد لصاحبه : عندما يأتيك من الملك مبلغ من المال ، ويكون طريق الاشعار والتبليغ بواسطة البرقية ، فهل ترفض قبول هذا المبلغ بحجة أن المبلغ جاء اليك بواسطة الشياطين ؟ أم تقبله على علته ؟ فما استطاع الشيخ ابن سليم أن يجيب الجواب المقنع ، والذي يبدو أن الشيخ ابن بليهد يعرف أن صاحبه جاءه مال دسم عن طريق اللاسلكي • وربما كان تأثير المال هو الذي أنسى الشيخ المجتهد ان المال جاء اليه بواسطة الشيطان اللعين •

وقد كانت حجة الشيخ ابن بليهد من أكبر الحجج التي جعلت بعضا من رجال الدين المتعصبين يستسلمون للامر الواقع • وربما كان الفضل الاكبر يعود للمرحوم الملك عبد العزيز الذي لا يستبعد أن يكون هو الذي أوحى بهذه الحجة للشيخ ابن بليهد •• مع العلم أن الاخير لا تنقصه الحجة وسرعة الخاطر •



نظام الحكم

يقوم نظام الحكم في الجزيرة ، وخاصة في بداية الفترة التي نتحدث عنها ، أي في مطلع القرن العشرين حتى ١٩٢١ و ١٩٢٧ على نظام قبلي ، فشرقي الجزيرة يحكمها عبد العزيز ابن سعود من الاحساء الذي استولى عليه من الاتراك عام ١٣٣١ الموافق ١٩١٣ الى وادي الدواسر جنوبا ، وشمالا الى القصيم الذي هو الموضع الاستراتيجي الرئيسي بحكم انه موقع متوسط بين شرقي الجزيرة وشمالها ، وأما شمالها فيحكمه ابن رشيد من عاصمة أمارته حائل الى الجوف ، مع ان الجوف يكون أحيانا تحت حكم ابن شعلان ، رئيس عشيرة الرولة . واما غربي الجزيرة فتحت حكم الاتراك استولى عليه الشريف حسين بن علي .

ومن المسلم به أن يكون نظام الحكم عند الجانبين وراثيا .

وفي كل بلدة وقرية ، يوجد أمير منتدب من قبل ابن سعود
فيما اذا كانت تلك البلدة أو القرية من الجانب الخاضع لحكمه ،
وكذلك الحال في البلاد أو القرى الخاضعة لنفوذ ابن رشيد •

أما البادية فان نظام الحكم يختلف فيها عن المدن والقرى •••
فالبدوي غالبا ما تكون نفسه تواقفة الى الحرية ، ولذلك نجده
لا يخضع لقيود الحكم ، هذا وان يكن لكل قبيلة رئيس ، ولكن هذا
الرئيس لا يتحكم في أفراد قبيلته الا ضمن اطار محدود ، اللهم الا
رئيس قبيلة مطير الدويش ، فانه يتمتع بنفوذ على قبيلته أكثر من
غيره •

واما القضاء الشرعي عند البادية فقد كان يسير على العرف
والعادات المتوارثة منذ العهود القبلية القديمة حيث يكون لكل
قبيلة قاض أو قاضيان •

فاذا وقع خلاف بين متخاصمين يذهبان الى هذا الحكم ، وغالبا
ما يكون الحكم الذي يحكم به فاصلا ، ويستمد القاضي حكمه
من العادات والتقاليد والعرف والمجتمع •

فالسطة التنفيذية عند البادية بعدما يصدر الحكم حكمه هي
المجتمع ، أي القبيلة بكاملها ، فالمحكوم عليه من قبل القضاء
يستطيع أن يطلب استئناف الحكم عند قاض آخر ، أما الرفض

فلا يمكن ، ويسمى الحاكم الشرعي (عارفه) •

هذه صورة عن السلطة التنفيذية والقضائية في البادية •

أما هاتان السلطتان في مدن الجزيرة فهما يختلفان طبعا عن البادية ، فالسلطة التنفيذية كلها بيد الحاكم ولا يشاركه بها أي فرد من المواطنين ، حتى ولا من أسرته ، فهو السلطة العليا ينفذ ما يشاء أن يفعله ، ويترك ما لم يشأ فعله •

وأما سلطة القضاء فانها بيد القاضي الشرعي ، وهذا القاضي يستمد حكمه من الشريعة الاسلامية ، وما يحكم به القاضي عند كل من حاكم شرقي الجزيرة أو شمالها ، يكون نافذ المفعول ، وطريقة القضاء هي أن يجلس المتخاصمان أمام القاضي على الارض ، ويدي كل منهما حجته ، وبعدهما يستوعب القاضي حجج كليهما يصدر حكمه النهائي اما بالمصالحة بين الطرفين أو بالحكم لمن يرى أن الحق بجانبه ، وقد ينتهي الامر في لحظة لا تتجاوز الساعة ، مع الملاحظة بأن من يدينه الحاكم بتهمة تمت الى سياسة تعارض سياسة الحاكم ، فان للحاكم أن يتصرف بعقابه دون أن يأخذ رأي القاضي الشرعي به ، حتى ولو كان العقاب هو الموت •



الأمن

كانت الجزيرة في مطلع هذا القرن تعاني الشيء الكثير من تفكك الامن ، واختلاف الكلمة ، فقد كانت الحروب الطاحنة قائمة على قدم وساق بين حاكم شرقي الجزيرة وبين حاكم شمالها ، وفي سبيل هذا الصراع المرير كم أريقتم دماء زكية وأزهقت نفوس طاهرة من كلا الجانبين ، من أبناء هذه الجزيرة الذين يدينون عن بكرة أبيهم بعقيدة واحدة ، وهي عقيدة الاسلام ، ويذهبون مذهب الامام احمد بن حنبل ، وعلى هذا الاعتبار فان الخلاف بين المتخاصمين لم يكن جذريا ، وانما هو خلاف في سبيل الزعامة ، وهذه المصيبة هي شر نكبة منيت بها الامة العربية والاسلامية من عهد علي ومعاوية حتى هذه الايام التي نعيشها حاليا ، ولحسن حظ ساكني الجزيرة ان ذلك الخلاف قد انطوت صفحته الى غير رجعة ، وذلك بعدما تمت وحدة الجزيرة على يد بطلها المغفور له الملك

عبد العزيز آل سعود ، ذلك الرجل الجليل القدر الذي مهما قيل
عنه من حسنات وهنات ، كانسان هو عرضة للصواب أو الخطأ ، فان حسنته ،
بل حسناته التي أسداها لأمته من أبناء الجزيرة ، بتوحيده لصفوفهم
لا يعادلها شيء في نفس كل عربي يؤمن بوحدة أمته العربية التي لم
يتسلط المستعمرون ورببتهم اسرائيل علينا الا بسبب تفرقتنا ،
وتجزئة وطننا العربي •

ولما كان الحديث هنا حديث الملك عبد العزيز فلا بد أن أكشف
في المكان المناسب من هذا السفر عن السر الجليل الذي مكن لهذا
الرجل الكبير توحيد عرب الجزيرة ، أجل لا بد من أن أعالج ذلك
في بحث مستقل من هذا الكتاب •

ولما كان البحث حول الامن ، فانه ليطيب لي أن أقول : أن
الامن في داخل المدن الكبيرة في الجزيرة كان موطدا ، ولكنه
لا يتجاوز نطاق المدينة فقط ، وعندما يتعدى المسافر هذا النطاق
فانه يكون مهددا بالقتل والسلب من البادية ، اللهم الا أن يكون
معه رفيق يحميه من سطوة القبيلة التي يمر المسافر بأرضها ، بشرط
أن يكون هذا الرفيق من نفس القبيلة التي يمر بأرضها المسافر •
وان لم يكن بجانب المسافر اعرابي يحميه ، فانه سوف يكون عرضة
لادنى غارة من غارات الغزاة الذين لاهم لهم الا الغزو والسلب
والنهب • وفي مناسبة ذكر الغزو أراني ملزما بأن أوضح لمن

لا يعرف تقاليد عرب البادية أن القصد عند البدوي بالغزو لم يكن
قصدا ماديا •• ولم يكن النهب والسلب الا وسيلة لا غاية ، فالغاية
عند الاعرابي من الغزو هي ابراز شجاعته لان شجاعة الحروب
وشجاعة الساعد من حيث هي في ذلك العهد كانت هي الميزة
العظيمة التي يقدر ويحترم من أجلها العربي في محيطه وبين أهله ،
فاذا فقد المرء هذه الميزة فقد كل شيء من معاني الاجلال والاحترام ،
لا عند رجال عشيرته فحسب ، بل حتى عند النساء اذ قل أن يجد
من نساء الحي فتاة ترضى بأن يكون لها بعل مالم يكن مغوارا
كسابا لا بل الاعداء ، وهابا لها بقدر ما يستحوذ عليها •

ومن أوضح الادلة على أن البدوي يعتبر الكسب والغزو
وسيلة لا غاية - هو أنه عندما يغامر بنفسه ويغزو أعداءه من
القبيلة الاخرى ، ثم يتمكن من كسب عدد من الابل فانه لا يلبث
أن يهب الكثير منها ، بل قد يهب جميع ما يكسبه (حذية) أي هدية •

والعادة المألوفة عند العرب هي انه بعدما يعود الغازي الى
أهله ، بعد ذلك يأتيه من عرب قبيلته الذين لم يشاركوه الغزوة ،
فيقول أحدهم (الحذية) يافلان ، فيهبه أطيب مالمديه من الغنيمة ،
وكثيرا ما يوزع كل ما كسبه بدون أن يرجو مقابلا لهباته هذه
اللهم الا الثناء والمجد ، ومن هنا يبدو الامر جليا بأن غاية البدوي
بغزوه ونهبه انما هي غاية معنوية بالنسبة لمفهومه أكثر منها مادية •

ولما كان الشعر الشعبي هو خير ترجمان معبر عن أحاسيس وشعور
المجتمع ، فانه ليروق لي أن آتي بيتين أنشدتهما اعرايية من بادية
شمالي الجزيرة عن أخيها مخاطبة اياه ولائمة له بقولها :

فزيت أحسبك مع الغزو واثريك يالنذل سماح
رصاصة تضربك نزو والدم من مضربه ساح

الشرح :

تخاطب الفتاة أباها في البيت الاول قائلة له : لقد كنت أعتقد
انك رحت غازيا في غيابك عنا ، ولذلك سررت واعتزرت بك ،
ولكن بدا لي فيما بعد أنك نذل - حيث ذهبت تأتي لنا «بالسمح» ،
والسمح هذا يخرج في الفلاة في شمالي الجزيرة ، ولونه الى
السواد أقرب ، وهو كحب الدخن ويؤكل بعد الطبخ ، كما انه اذا
عجن مع التمر وأضيف اليه السمن يكون لذيذا * ثم تدعو الفتاة
هلى أخيها في البيت الثاني قائلة ما معناه : « أتمنى أن تصيبك
رصاصة بمقتل منك لانك فاقد الرجولة » .

فهذه الاعرايية تصور لنا أبلغ تصوير نفسية العربي تجاه
الغزو ، فنراها تدعو على أخيها بسهم يصيب منه مقتلا لانها ظنت
أن الايام التي غابها كان فيها غازيا ، أما بعد أن خاب به ظنهما

فانها أصبحت تتمنى أن يموت بالرغم من أنه ذاهب ليكسب لها
قوتاً يقوم بأودها •

لقد جئت بهذين البيتين كشاهد على ما أشير اليه مع العلم
بأن الشواهد على هذا المعنى خاصة في القصائد الشعبية أكثر من
أن تحصى •

وأعود الى الحديث عن الامن في البادية بعد اذ قادني البحث
الى الحديث عن الغزو •• فالامن في الصحراء على النهج السالف
الذكر هو في المدن الرئيسية كما أشرت موطن الاركان ، ذائع في
كل مكان ، مع العلم بأنه لم يكن هناك شرطة أمن على النهج النظامي
في المدن ، ولكن هناك من يقوم عملياً بمقام الشرطة من نفس رجال
الحاكم ، ومن ناحية الجيش كقوة دفاع فانه لم يكن عند كل من
حاكمي شرقي الجزيرة وشمالها جيش بالمعنى الدولي المنظم ، ولكن
عندما يطلب الحاكم منهم أن يحاربوا بصفه فكل الشعب على أتم
الاستعداد بأن يحارب تحت أمرة حاكمه بدون أدنى مقابل من
المال •



التكافل الاجتماعي

لم يكن في الجزيرة مؤسسات اجتماعية على الطراز الحديث ،
كدور للايتام ، ومأوى للارامل والعجزة ، الا أن هذا لم يمنع من
وجود شيء من التكافل الاجتماعي ، حيث كان في تلك الفترة
تكاتف بين المواطنين في أمور معينة ، مثال ذلك ان المرء الذي يود
أن يعمر سكنا له ، فان المواطنين يساهمون بعمرانه على النحو الآتي :
لما كانت أجرة العامل في تلك الايام قليلة ، فان العمال يشترطون
أن يكون أكلهم على صاحب العمران مدة قيامهم بعمران بيته ،
وهذه العملية تخفض من أجرة العامل بمقدار الربع ان لم يكن
النصف .

والعادة المألوفة في هذا الشأن هي ان جيرانه ينوبون عنه بهذا
العناء بصورة تجعل كل يوم يتعهد فيه فرد من سكان الحي بغذاء

العمال على حسابه ، وهكذا دواليك يتناوب السكان هؤلاء العمال بتعهد واحد منهم كل يوم ، وربما انتهى المواطن من عمارة منزله بحيث لا يتكلف بغذاء أحد من عماله ، كما انه في نفس الوقت قد يجد من شباب بلده من يساهم عمليا بعمران منزله مجانا كعامل خاص اذا كان صاحب المنزل فقيرا ، وتلك هي الحال نفسها في ناحية الزواج فانه يحصل تكاتف بين المواطنين بصورة تجعل الصديق يدفع لصديقه شيئا من النقود كمساعدة على المهر وتكاليف الزواج . مع ان تكاليف الزواج والمهر في تلك الايام كانت متواضعة للغاية .

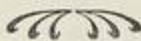
ومن مظاهر التكافل الاجتماعي أن الاجنبي الذي يحل البلاد فان الحاكم يتعهد بغذائه وسكنه مدة اقامته ، اذ لم يكن في مدن الجزيرة آنئذ فنادق ، وكان سكن الضيف القادم وطعامه على حساب الحاكم .

هذا نوع من أنواع التكافل الاجتماعي عند الحضرة ، اما عند البادية فانه يتخذ شكلا آخر ، ذلك ان البدوي عندما يصاب بنكبة يفقد بها ماله من ابل ، فانه يتحتم على كل فرد من القادرين من قبيلته أن يهبه ناقة ، وهذه الهبة هي أشبه ماتكون بالقرض ، أي انه بعد أن يصلح حاله وتنمو ابله عن طريق التناسل ، فانه مجبر على

ان يرجع لاصحابه ناقة مسائلة للناقة التي اقترضها • وربما أعادها
هي بنفسها •

واما العناية بالضيف عند البادية فحدث عنها ولا حرج ، لان
الضيف يبقى عند مضيفه مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، مادامت
اقامته مهما طالت ، بل ان العادات المألوفة عند عرب البادية كانت
تقضي بأن المضيف لا يسأل ضيفه من أين هو ؟ ولا من أين قدم ؟
ولا أين يسافر ؟ اللهم الا ان يشاء الضيف نفسه أن يتحدث عن
شيء من ذلك •

ويبدو التكافل الاجتماعي على أتمه بين المواطنين في الغرامات،
فمثلا عندما يقتل مواطن بطريق الخطأ بيد مواطن آخر ، فالحكم
الشرعي في مثل هذه الحال يفرض على القاتل أن يدفع غرامة كدية
للنفس التي قتلها خطأ ، فاذا كان القاتل غنيا فانه يدفع هذه الغرامة
من عنده • اما اذا كان فقير الحال ، لاتساعده حاله على دفع
الغرامة ، فان المواطنين يتعهدون بدفع الدية كل منهم على قدر
مكنته • وربما واتاه عن طريق هذا التكاتف من الاعانات فوق
ما يطالب به شريطة أن يكون القتل خطأ لاعمدا •



الناحية الصناعية

لكأني بالقارىء يتساءل لماذا أشرت بحث الصناعة وهو هو
في الأهمية ومن مقومات الحضارة الرئيسية؟ •• الجواب هو انه
ليس ثمة ، وبالأسف ، أي شيء يذكر من المعامل الصناعية •

وكل ما يوجد هو بعض الاشياء التافهة من الصناعات اليدوية،
امثال الأحذية والاونى المنزلية والابواب وما شابه ذلك، والاسباب
في عدم نمو الصناعة عديدة ، وفي مقدمتها الجهل والفقر ، وما دام
الواحد منهما كافيا في بلائه الوخيم على الأمة وعائقا لنموها
واطرادها ، فما بالك اذ يتوفر كلاهما في مجتمع ما •

ولما كان لكل من الجهل والفقر مساوئه الضارة فتكا في الأمة،
فلا بد من أن أشير الى مضار الجهل على المجتمع الذي تتحدث عنه
فيما له مساس بالصناعة •

كانت العادات الموروثة التي ما زالت رواسبها راسخة الجذور
في تلك الفترة ، تقضي بأن من ينتسب الى الطبقة العليا ، لاسيلا له

الى امتهان أية حرفة من حرف الصناعة ، ما عدا العمران ، فان امتهن
أحد من هذه الفئة صناعة ما فالمعنى انه سوف ينحدر الى مستوى
الطبقة الثانية التي سبقت الاشارة اليها •

ولا زلت أذكر ضجة كبيرة أثارها متطرفو الطبقة الاولى على
مواطن من هذه الطبقة يدعى فهد العباس الفلاجي ، وكان قد
اخترع آلة جديدة من الحديد تساعد على اشعال النار واضرامها
في الكير الذي يستعمل منذ القدم ، ولطالما وجه لهذا المواطن قارص
اللوم والعتاب من أقاربه باعتبار أنه انحدر الى الحضيض بقيامه
بأعمال لا يليق أن يقوم بها الا من هو من (الخضيرية) الذين هم
من الطبقة الدنيا ، وان المجتمع الذي يبلغ بأهله الجهل الى الدرجة
التي يعتبر معها من يقوم بالاعمال الصناعية أو يتكرر شيئا منها ،
يهوي الى النوع الادنى من البشر ، الذين لا يصح أن ينكح
نساءهم أحد من غيرهم ، ولا يحق لرجالهم أن ينكحوا نساء غير
نساء طبقتهم ، قلت ان مجتمعا يبلغ به الجهل هذا المستوى لحري به
أن تتعطل موهبة الانتاج الصناعي لدى مواطنيه • ومن ثم لم يكن
من الغريب ألا يكون للصناعة في البلاد أدنى أثر ، هذا بالاضافة
الى الفقر الذي يحول دون وجود رأس مال قوي يمكن المواطنين
من اقامة مصانع ولو لسد حاجات البلاد من الاشياء الضرورية •

الناحية التجارية

كانت الحركة التجارية في البلاد مشلولة للغاية ، ولم يكن هناك مصارف ، ولا ما يقوم مقامها . ومن يقوم بالاعمال التجارية من المواطنين عدد محدود جدا (١) ، والتجارة غالبا مقصورة على الماشية ، حيث يقوم هؤلاء التجار بشراء الابل من البلاد ، ويذهبون بها الى البلاد العربية المجاورة كالشام ومصر ، واذا باعوها اشتروا بأثمانها أقمشة رجالية ونسائية وأشياء أخرى مما تحتاجها البلاد ، كزيت الغاز المستعمل للتتوير ، والصابون ، وما يشبه ذلك من الحاجات الضرورية التي لاغنى للمواطنين عن استهلاكها ، فيكون التاجر الذي يقوم بهذه العملية رابحا في ذهابه وايابه ، هذا اذا سلم من غارات البادية التي تلتهمه هو وما في حوزته . وثمة تجار

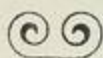
١ - الاعمال التجارية يتعاطاها رجال الطبقة الاولى خلاف المهن الصناعية .

آخرون يمتنون تجارة اللؤلؤ ، وهؤلاء يذهبون ليشتروا الاحجار
الثمينة من مصادرها كالكويت والبحرين الخ . . . ويصدرونها للهند،
والصفقة التجارية بمثل هذه الاشياء تكون أحيانا خيالية ، ومما
لاشك فيه ان ساكني الجزيرة لم يكن لدى الكثير منهم شيء من
رأس المال الذي يخول المواطن التاجر منهم أن يقوم بأعمال تجارية
على نطاق واسع ، بل ولا على نطاق متوسط ، ولكنهم كانوا
معروفين بالامانة وصدق المعاملة^(١) عند أصحاب رؤوس الاموال
من اخوانهم العرب كالشاميين والعراقيين وكل من لهم بهم صلة
تجارية ، ولذا كانوا يطمنون الى صدق معاملتهم بصورة تجعل
صاحب رأس المال يقدم للمواطن من أبناء الجزيرة ما يحتاجه من
المال ، على سبيل المضاربة ، أي يكون المكسب مناصفة بين صاحب
المال وبين التاجر ابن الجزيرة . يقدم الاول المال ويقوم الثاني
بالاتعاب والمغامرات ، لان الاعمال التجارية كانت يومئذ شاقة
ل للغاية ، فلا سبيل للسفر الا على الابل ، والمسافة بين الشام ونجد
مثلا لاتقل مدتها عن عشرين يوما ، ناهيك عن الاخطار التي تحيط
بالمسافر من الغزاة ، والظما في أيام الصيف وما شابه ذلك .

وبالاجمال كان رأس مال ابن الجزيرة ورصيده الامانة
والصدق ، وعلى أساس هاتين الخصلتين كان يسعه أن يتناول من

١ - راجع ص ١٣٤ من كتابنا (من شيم العرب) ج ١

أصحاب الاموال القدر الذي يمكنه من العمل ضمن جهوده الخاصة بقدر ما يتمتع من الامانة والصدق • والمثل الشعبي المعروف والدارج بين المواطنين : يقول « من أخذ من الرجال وأعطى شاركهم بأموالهم » • أي من أخذ من أصحاب المال مالا على أساس المضاربة بأمانة وصدق ، ثم مضى بمعاملته على هذا الاساس فانه يكون شارك أصحاب الاموال بأموالهم • وعلى أساس هذه القاعدة كان المواطنون الذين يمتنون تجارة الابل يتاجرون بأموال طائلة، حتى ان البعض منهم أصبح في غنى عن أن يأخذ مالا ممن كان يأخذ منهم سابقا ، كما ان البعض الآخر لديه من الثروة ما يجعله يعطي مواطنيه ما يتاجرون به على نفس الاساب الذي كان يعمل به مع التاجر الخارجي عندما كان فقيرا •



الحياة الديموقراطية

لاشك بأن العربي ديموقراطي بجبلته وسجيته التي فطره الله عليها، فهو ميال للحرية بطبيعته، وقد كان ساكنو شمالي الجزيرة وشرقيها لا يعرفون الا لقب قطيعا، لا جلالة ولا سمو ولا معالي ولا سعادة ولا فضيلة، بل حتى ولا سيادة، وكان بطل الجزيرة وجامع شملها وموحد كلمتها المغفور له الملك عبد العزيز يناديه أبسط المواطنين بأسمه المجرد من الالقاب: يا عبد العزيز، اما الانحاء وتقبيل اليد، فكان أهل الجزيرة يعيرون هذه العادة وينفرون من مجرد سماعهم لها باعتبارها عادة وثنية سرت اليهم من الاعاجم كما وقع ذلك في المحادثة التاريخية المشهورة عن المنصور أبي جعفر العباسي مع الشخص الذي شاء أن يقبل يده فنهره المنصور قائلا: (ابعد عني يا هذا، فان كنت عربيا فان تقبيل اليد مذلة لك، ونحن لا تقبل أن نذل العرب، وان كنت عجميا فانها خديعة منك لنا ونحن لا تقبل

أن نخدع) • وهكذا نجد العربي قد فطرت نفسه على الإباء والشمم،
وما قصة عمرو ابن كلثوم مع عمرو بن هند ببعيدة (والحادثة
مشهورة لا داعي لشرحها) •

وبالرغم من أن نظام الرقيق كان سائدا ومعمولا به بصورة
علنية بتلك الفترة ، فالحقيقة التي لا مكاربة فيها هي أن الرقيق يعامل
كابن وكأخ ، وخاصة عند الحضرة ، حيث لا يشعر الرقيق الا انه من
نفس الاسرة ، ولا فرق بين الرقيق وبين سيده ، لا بالفداء ولا
بالكساء ، وحتى في المحادثة ، لا يستعمل السيد لرقيقه الكلمة التي
تنس شعوره كرقيق ، وذلك الرقيق لا ينادي سيده بلقب يعبر عن
أي معنى من معاني التفضيم أو التعظيم ، فكلمة « سيدي » أو
« مولاي » من الرقيق لما لكانه لا يوجد لها أثر و (يا) النداء بين
الرقيق وسيده تأتي على شكل ينادي بها الاول الثاني بكلمة (عمي)
أو يناديه باسمه الصريح ، كما ان السيد ينادي رقيقه اما يا ابني
أو يا أخي أو باسمه الصريح ، ورابطة الالفة والمحبة بينهما تبلغ
أحيانا حد الاسراف ، وقد تكون من الرقيق أعظم وأمتن منها من
السيد ، وكثيرا ما يفدي الرقيق حياته في سبيل سيده اذا دعت الحاجة
الى ذلك ، ولئن دلت تضحية المملوك بحياته دون مالكة فانما تدل
على ناحيتين : الناحية الاولى هي المعاملة الحسنة التي يعامل بها
السيد مملوكه حتى استطاع أن يملك قلبه ، كما ملك رقيبته ،

والناحية الثانية الرئيسية عندي والتي يجب أن تكون موضع
الانتباه هي الجهل الاعمى من الرقيق ، والا كيف يضحي بنفسه
في سبيل من سلبه حريته التي هي أثمن شيء في الدنيا .

أما أن يعتقد مسلوب الحرية جهلا بأن سيده ولي نعمته ،
وأنه المحسن اليه ، وأنه يجب أن يقابل هذا الاحسان بأحسن
وأعظم منه ، أي بفدية سيده بنفسه عند الملمات ، أما ان يفعل
المملوك هذه العملية الهستيرية ، فالسبب هو انه مسلوب الحرية ،
ومن سلبت حريته شلت ارادته ، وفسد عقله ، أجل ولو كان الرقيق
يتمتع بسكة من العقل ، اذن لادرك أن كل ما أسداه اليه سيده
من معروف واحسان لا يقاس بواحد من المائة مما اختلسه منه سيده
من حرية هي أسمى وأقدس وأنفس شيء في الحياة ، ولعمري
ما قيمة الحياة اذا ما فقد المرء حريته .

وبعد ، فاننا عندما نتحدث عن الديمقراطية في الجزيرة
وخاصة فيما له علاقة في معاملة الرقيق فلا بد أن نعترف بأنه وان
يكن العربي بطبيعته مفظورا على الانطلاق من القيود بحكم حياته
الصحراوية ، مجبا للحرية ، فان قضية المعاملة الديمقراطية للرقيق
يعود الفضل بها أولا وآخرا للاسلام ، وكل من يعرف تاريخ
الجزيرة قبل الاسلام يدرك جيدا أن الرقيق كان يعامل عند العرب
معاملة البهائم ، وقد بلغ بهم الاسراف بهذه الناحية حدا جعلهم

لايعترفون بالحق أبناءهم بانسابهم فيما اذا كانوا من أم ووالد ،
أي اذا كانت أم ابنه رقيقة له ، فانه لايعتبر ابنه ابنا له بل يعتبره
عبدا له ، وعندما يشاء أن يبيع أم ولده فانه لايتورع من أن يبيعها
هي وابنه على سواء كما يبيع المتاع •

ولم يقف محمد عليه السلام من تلك العادات الجاهلية موقف
المشرع فحسب ، بل وقف موقف المنفذ والمطبق عمليا •

وهل هناك دليل محسوس أعظم وأجل من ان ينكح محمد ابنة
عمه زينب بنت جحش لمملوكه زيد بن ثابت ، وأعظم من ذلك
تحديا لعادات الجاهلية هو انه بعدما قضى زيد وطره منها وطلقها
يأتي الرسول الاعظم وينكحها هو بنفسه بعد مملوكه •

هذا وانه من لم يدرس العادات والتقاليد القبلية ، وأعتقد أن
الدراسة وحدها لا تكفي بل من لم يعيش في قلب الجزيرة كفرد من
صميم أبنائها فانه لا يستطيع ولا بشكل من الاشكال أن يتصور
مقدار ما تحدى به الرسول عليه الصلاة والسلام لعادات العرب ،
ولا يتصور شدة وطأة هذه العملية لاعلى عقول عرب الجاهلية
وحسب بل حتى على عقول ومفاهيم عرب شرقي وشمالي الجزيرة
حتى في هذا العصر وفي هذه الفترة التي نعيشها بالذات •

ولذلك أجدني ملزما على أن أقول يجب على ابن الجزيرة ان

يكون ايمانه برسالة محمد عليه السلام وبجلالة قدره ، أشد
الايان وأعظم الاجلال لانه هو الذي يعرف التقاليد القبيلة
الساري مفعولها حتى يومنا هذا وهو الذي يعيشها ويتحسسها ،
ومعرفته لهذه الناحية وادراكه لها تجعله يؤمن بأن محمدا (ص)
تحدى العرف بتزيقه لعاداتهم الجاهلية الموروثة احقبا طويلا عندما
انكح ابنة عمه لمملوكة تحديا لا يقل أهمية عن تحديه لهم بعبادتهم •
ولما كانت العادات الجاهلية راسخة في نفوس العرب ، ولما
كانت المبادئ الاسلامية التي نادى بها محمد وطبقها عمليا هو
وخلفاؤه الراشدون لم تدم طويلا ولم تتغلغل في جزيرة العرب
وذلك بحكم انتقال عاصمة الخلافة الاسلامية من المدينة المنورة
الى الشام في العهد الأموي ثم العراق في العهد العباسي والى مصر في العهد
الفاطمي، فانه من بدهيات الأمور أن تظل بعض العادات الجاهلية كالتمييز
العنصري الموروث من العهد الجاهلي، باقية حتى هذه الفترة خاصة
في شمالي الجزيرة وشرقيها ولذلك ظل هذا القسم الى يومنا هذا
يعيش في نظام التفرقة والتمييز القبلي الموروث جيلا بعد جيل من
العصور التي قبل الجاهلية •

فساكنو شمالي وشرقي الجزيرة يعيشون كطبقتين : الطبقة
الاولى يعبر عنها بالقبيلة • والطبقة الثانية يعبر عنها بالخضرية •
وعلينا بهذا الصدد أن نوضح بأن التفرقة التي أشرت اليها محدودة

على التناكح فقط • أي ان المرء الذي من الطبقة الاولى المسماة بالقبلية لا يمكن أن ينكح ابنته لمن هو من الطبقة الثانية •

وفي عام ١٩٢٢ حدث في الجزيرة شيء من المحاولة لتطبيق الدعوة الاسلامية من هذه الناحية حيث قام المرحوم الشيخ عبدالله ابن بليهد وتزوج واحدة أو اثنتين من فتيات الطبقة الثانية ، مفكرا كما ينقل عنه بأنه يحاول أن يقوم بتجربة عملية عله يقضي على العادات القبلية ، ولكن محاولة الشيخ لم تسفر عن نتيجة ملموسة بالرغم من أن الشيخ من العلماء البارزين بعهدہ الذين يصح أن يتخذ المجتمع قدوة من سيرته واعماله • وفي اعتقادي ان من الاسباب التي جعلت تجربة الشيخ تبوء بالفشل هو ان الشيخ نكح من الطبقة الدنيا ولكنه لم ينكح ابنته أو واحدة من فتيات أسرته لمواطنن يرضى شرفه وخلقه ودينه من رجال الطبقة الثانية • وربما لو فعل الشيخ ذلك لكان له الأثر الفعال في المجتمع ، وكأني بمتعرض يقول ألم ينكح محمد ابنة عمه لمملوكه زيد ؟ ومع ذلك لم يتغير شيء من العادات القبلية ؟ • فالجواب على ذلك : هو ان محمدا عليه السلام قام بتلك العملية كبكر من نوعها في الحين الذي كانت العادات الجاهلية على أشد ما تكون عنفا وقسوة فكان الخلق الجاهلي لازال راسخا في كيان العرب ، اما العهد الذي يعيشه عالم كالشيخ ابن بليهد فقد كان بعدما مضى على الدعوة

الإسلامية مقدار ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن •

وعلى أي شكل فإن الإسلام خفف كثيرا من حدة التعصب القبلي ، حيث كانت الفوارق بين الطبقتين مقصورة على التناحر فقط كما سلف ذكره ، وما عدا ذلك فإن من يكون من رجال الطبقة الثانية ، فإنه يشارك المجتمع في جميع المرافق الحيوية سواء ما كان له علاقة في وظائف الدولة ، أو الأعمال الحرة والفوارق التي أشرت إليها لا يستطيع أن يحسها أي إنسان مالم يكن من نفس أهل البلاد .
ومن المعلوم ان الطبقة الدنيا تشكل في الجزيرة وخاصة في المدن مجموعة لا تقل عن نصف سكانها ومصدر هذه الطبقة ناشئ من أحد الأشياء الآتية :

اما أن يكون منحدرًا من أصل اختلس أبوه أو أحد أجداده فاعتبر رقيقًا ، وذلك في الحين الذي كان نظام الرق متفشيا وسائدا كقاعدة أساسية مألوفة من عهد ما قبل التاريخ •

أو أن يكون أبوه أو أحد أجداده جاء للجزيرة من أحد الاقطار العربية أو المدن العربية المجاورة أي التي لم تكن من مدن شمالي وشرقي الجزيرة تلك التي ينتسب أهلها الى إحدى القبائل العربية التي غالبا ما تكون اما قحطانية بنسبها أو عدنانية باعتبار ان أنساب العرب مقصورة على هذين النسيين •

ومن مسلمات الامور ان التطور الفكري لا يمكن ولا
بوجه من الوجوه ان يهضم مثل هذه الامور التي هي من مخلفات
الجاهلية لانها بقدر ما تعارض المبادئ الاسلامية بشدة وعنق
تعارض أيضا التطور الحديث الذي يسير سيرا حثيثا لاهوادة فيه.



الطابع البارز على محيا المجتمع

في كل زمان ومكان لابد ان يكون لأي مجتمع ميزة خاصة
تكون كطابع بارز يتصف بها دون سواه .

وكما ان لكل فرد من البشر سجية بارزة يمتاز بها بصورة
تطغى على جميع سجاياه ، فان كل مجتمع يكون له الطابع الخاص
الذي يمتاز به عن غيره من المجتمعات الاخرى . لذلك فانه ليسعدني
أن أشير الى الطابع البارز المهيمن على ذلك المجتمع بل الطاغى على
شعور وتفكير ساكني الجزيرة في الزمان الذي حددت الحديث عنه .

فبقدر ما كان ساكنو الجزيرة فقراء من كل مقومات الحياة
المادية والصحية الخ . . فانهم كانوا أغنياء للغاية بتمسكهم بالاخلاق
المثلى ، فلقد كان لديهم رصيد لا ينضب من المثل العليا كالشجاعة
واكرام الضيف واجارة المستجير واباء النفس وغير ذلك من القيم

الشريفة التي كان يتنافس عليها المواطنون بكل ماديهم من القدرة •
وربما كان الشاهد الامين والترجمان الصادق بتعبيره عن هذه
الحقائق هو الادب الشعبي فقصائدها القومية هي اللسان الناطق
الذي يصف لنا طابع الجزيرة البارز على ألسنة شعرائها الشعبيين،
كما وردت بنصها الآتي :

كقول الشاعر الحماسي محمد الصغير :

ياشاريه بمحلقة وجه الذليل ياالله العنه وش عاد يبغي بالحياة

الشرح :

فهذا الشاعر يصف الروح العريية في حالة الفرار من عار الجبن •

يقول : انني أعرض شرف الجبان وحياته « بمليم » فهل من
مشتري ، وال « محلقة » هي عملة كانت تستعمل في ذلك الوقت
تساوي المليم المصري •

وفي المصراع الثاني من البيت يقول الا لعنة الله عليه أي
(الجبان) فعلام يريد الحياة •

ويقول الشاعر الثاني :

ياالعنبو مرة الذليل وشو لوه تكحل عينها

الشرح : ويقول الآخر أيضا : اللهم العن أبا امرأة الجبان فلم

تكحل عينها وتجمالانها له ؟ وفي المصراع الثاني يقول : طالما انه
لا يخيف الاعداء بسيفه فيا للاسف على تجملها لهذا البعل الجبان .
والثالث يقول :

ياالبيض ياللي تعشقني العفن قولن مانبيه
خوذن صبي ما يذل والموت ما يطرى عليه

الشرح : أيتها الفتيات الناصعات البيضاء اللواتي تهفوا ليكن
نفوس الشباب عشقا وغرما ، اياكن أن تقبلن أن يكون الجبان لكن
بعلا ، بل ارفضن قبول ال « عفن ، أي الجبان » .

والامثال لاحصر لها في هذا المعنى وتكاد أن تكون الشجاعة
في تلك الايام هي أبرز الصفات ، وكذلك اباء النفس وعدم احتمال
الضيم ، هذه الناحية لها أيضا الاثر الفعال ، فاصنع معي الى قول
الشاعر (ابو زويد) حيث ينصح ابنه بقصيدته اللامية المحفوظة
لدى الرواة للشعر الشعبي ومنها قوله :

اختار لك من عوص الأنصار ماله حمراء تورديك الى صنقر اللال
خله مع الديان تمشي لحاله العباد ما أنت للمسة الخشم حمال
يقول أبو زويد ناصحا ابنه المدعو حمادا يجب عليك يا بني أن
تحتفظ دائما بذلول من الابل النجائب التي تستطيع بها أن تقطع
البيداء في عنفوان الصيف ، وشدة الحر لكي تمضي على ظهرها

فارا عندما ترى أية اهانة موجهة اليك ، ولاسيما اذا كنت شابا أبي
النفس ذا شمم ولا تبت على الضيم •
ثم يمضي الشاعر فيقول :

العن صبي شوفته قدر حاله ودك تدور زوجته فيه الابدال
الحمرة تدرك معوشة عياله ليعاد ما يبغي منه باقي الاحوال
ترى ربيع يوم مقعدك بالجلاله يسوى زمان عايشين به أنذال
في هذه البيتين تتجلى لنا الروح العربية الأبية بأبرز معانيها •

يقول الشاعر في البيت الاول : الا لعنة الله على فتى محدودة
همته على نفسه فقط ولم ينظر للحياة الا من زاوية مصلحته
الخاصة •• هكذا يقول في المصراع الاول • اما المصراع الاخير
فانه يزيد وضوحا بقوله : يجب على الفتاة التي يكون بعلمها من
هذا النمط الذي لا يهتم الا بنفسه ، يجب عليها أن تستبدله بغيره
من فتيان الحي الاباة الاشاوس •

وفي البيت الاخير يقول : اذا كان هناك رجل يرى منتهى
آماله ان ينكح وينجب ومن ثم يؤمن العيش لنفسه ولزوجته
وأطفاله واذا ما بلغ هذه الدرجة فانه يكون قد أدى واجبات الرجولة
على أكمل وجه ، يؤكد الشاعر بأن الرجل الذي يعتقد انه بلغ القمة
بوصوله الى هذه الدرجة فانه خاطيء في تفكيره لان ال (حمرة)

أيضا قادرة على أن تنجب أولادا وتقوم بأودهم وعيشتهم كل القيام •
والحمة بالتأنيث هي طير من أضعف الطيور الصحراوية جسما
ومقدرة •

يقول الشاعر في البيت الثالث انه من الافضل أن يحيا الفتى
ساعات لاتتجاوز ربع النهار وهو شامخ الانف مرفوع الرأس
موفور الكرامة، ذاك خير من أن يعيش عمرا طويلا وهو ذليل مهودور
الكرامة، فتلك حياة لايرضاها الا الاندال الذين ينظرون للحياة من
حيث حب البقاء •

وهذا المعنى الذي قاله هذا الشاعر الامي البدوي منذ أكثر
من خمسين سنة قال معناه كل من الشعارين محمود سامي البارودي
وأحمد شوقي •

فالاول يقول :

علام يعيش المرء في الدهر خاملا أيفرح بالدنيا بيوم بعده
ويقول شوقي :

واحب من طول الحياة بذلة قصر يوريك تقاصر الاقران

هذا وجه من وجوه المجتمع في الايام التي تتحدث عنها وهو
يصف لنا الميزة البارزة من الشجاعة وابعاء النفس •• والآن نود أن

نذكر شيئاً عن نفسية اولئك الرجال في ذلك المجتمع فيما له علاقة
في اكرام المستجير الذي حكمه كحكم الضيف لانه غالباً ما يكون
مستجيراً عن أحد من رجال قبيلته برجال قبيلة أخرى غير قبيلته •

وهنا يقول الشاعر :

ألا ومع ذلك لك الله لنا كرام
عن جارنا ما عاد نخفي الطريقه
ونرفو عيوبه رفية العش للغار
ونجعل له النفس القوية ضعيفة

يقول الشاعر : انه بالرغم مما يعرف عنا من البطولة والصلابة
فان لدينا تواضعا وكرم نفس ولين جانب لمن يستجير بنا ، بصورة
تجعل نفوسنا القوية امام الاعداء ضعيفة أمام مستجيرنا ، وحتى
لو بدا منه عيب فانتا نرفأ عيبه ونستره ولا ندع أحدا يعرف عنه •
ثم يأتي شاعر الحريق محسن الهزاني فيقول :

لك الحمد ما تتبع عطانا ولو بعد
على الغيظ قلنا ذابه البر ضايح

يقول الهزاني : انه من نعم الله علينا أن لدينا من أصالة الخلق
وسمو النفس ما يجعلنا اذا فعلنا المعروف عند أحد ، فانتا لا يمكن
أن نذكر هذا المعروف ، حتى ولو نزل منا المعروف غير منزله في غير
أهله ، وتكر لمعروفنا وعاملنا معاملة سيئة ، حتى ولو حدث
ذلك فان لدينا من مناعة الخلق ما يحول بين نفوسنا الطيبة وبين
أدنى شيء يحدونا الى القول ان المعروف بمثل هذا ضياع لا يثمر •

وبعد فقد فاتتني الاشارة الى ناحية ذات أهمية وهي تحضير
البادية الذي بدأ عام ١٩١٥ ، تلك العملية التي قام بها المرحوم الملك
عبد العزيز حيث سعت كل قبيلة بتوجيه منه بتخطيط بلدة لها
وتسمى (هجرة) ، أي ان سكانها هاجروا من البادية اليها . .
ومما لاشك فيه انه حصل عند البادية انقلاب فكري عظيم كان له
الاثار الفعال ، وخاصة من الناحية السياسية ، كما كان له أثره
انشكلي من الناحية الروحية ، ولكنه لم يبدل شيئا من العادات
البدوية الاصلية . وأما أنه غرس في نفوس اولئك النفر حب القتال
والكفاح ، وهذا شيء طبيعي بالنسبة لما فطرت عليه نفوسهم
الصحراوية ، فحب القتال والصراع والغزو شيء راسخ في نفس
البدوي منذ نعومة أظفاره ، وانما الذي حدث هو انه بدلا من أن
يغزو البدوي ويقاتل من أجل المجد وكسب الثناء بالدنيا أصبح
يقاتل حسب العقيدة الاخيرة من أجل احدي الحسينين : اما الفوز
والنصر على أعداء الله الكفرة ، أو الشهادة في سبيل الله ، ليحظى
بالفردوس والحدور العين . وبدلا من أن يحرص على القتل من أجل
أن يأخذ الثأر من رجال احدي القبائل المعادية له أصبح حريصا على
قتل من يقع بيده من أعدائه الكفرة ليتقرب الى الله بدمه ، لانه
يعتقد أنه بقدر ما يقتل من أعداء الله تكتب له الحسنات ويكون له
في جنات الفردوس القصور العالية ، فيها الحدور العين القاصرات

الطرف ، وكل من لا ينضم الى حظيرتهم هذه ولم يكن منهم فانه
كافر بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر فيجب جهاده .. وحتى لو
شاء ان يدفع الجزية فانها لا تقبل منه ، الجهاد ولا غير الجهاد ..
والحقيقة انهم وان كان تدينهم على غير دراسة راسخة في معرفة
الكتاب والسنة ، ولكن وجودهم بلا شك أفاد الجزيرة من حيث
تمام الوحدة السياسية الحالية التي كانوا دعامتها وأهم العوامل
لقيامها .. ومما لا ريب فيه أيضا هو ان اولئك القوم لو خرجوا
على الدنيا بعقيدتهم التي يؤمنون بها في العصر الذي لم يكن فيه
سوى السيف والرمح ، أي كما كان الامر في عهد الصحابة ، لو
جاؤوا في مثل هاتيك الفترة لتغير مجرى التاريخ العربي ، ولساروا
بفتوحاتهم شرقا وغربا كما فعل الصحابة ، بصرف النظر عن كون
اولئك الصحابة رضوان الله عليهم اعتنقوا الاسلام عن وعي وتدبر
وعلم بكتاب الله وسنة نبيه . وان هؤلاء كان تدينهم عن جهل
وعدم معرفة بالكتاب والسنة على الوجه الاكمل ، بصرف النظر
عن هذه الناحية ، فالقصود هو ان عقيدة الايمان التي كان يحملها
الاولون عن ايمان بالجنة بعد الاستشهاد ، كان هؤلاء يحملونها
بكل معنى من معاني التضحية والبطولة ، الا ان الآخرين خانهم
الحظ حيث بزغ نجمهم على الدنيا في الحين الذي يملك أعداء العرب
والاسلام من المعدات الثقيلة الشيء الذي لا يوجد مع الاسف

عندهم ، بل حتى سلاح البندقية وعتاده لم يرد اليهم ، الا من
صنع أعدائهم •

هذا وانني لو أردت ان أتحدث عن بطولة هؤلاء في الحروب
وأسرد كل ما سمعته من الثقة لطال بي الشرح بعيدا ولكنني أود
أن أذكر حادثة على سبيل الاستشهاد لعلها تنهض صورة صادقة
واضحة المعالم عنهم للقارئ الذي لم يعرف شيئا عن ايمان اولئك
القوم ، وقبل أن أسرد القصة لابد من ذكر مقدمة لها :

بعدها تمت وحدة الجزيرة من الناحية الشرقية والشمالية، قام
نفر من هذه الفئة بغزوة لم يستأذنوا بها قائدهم الاعلى المرحوم
الملك عبد العزيز ، قاصدين شرقي الاردن ، وذلك في عام ١٩٢٢ ،
وكانوا شديدي الايمان كعادتهم بأنهم لن يهزموا ، ولكن الشيء
الذي لم يدر في خلداهم ولم يحسبوا له حسابا ، هو انهم بعدما
صبوا غارتهم على العدو اصطدموا بشيء لم يخطر ببالهم وجوده ،
اصطدموا بالطائرات والمصفحات الانجليزية التي صبت غارة
معاكسة عليهم ، فقاوموا ولكن مقاومتهم لم تجد نفعا ، وكانت هذه
المعركة هي الاولى في تاريخ حياتهم التي غلبوا فيها ، بيد انهم
لم يستسلموا وقاوموا الى أن أحاطت بهم القوة التي لا قبل لهم بها،
ونفدت ذخيرتهم ، وقتل منهم من قتل ، وأسر من أسر .. وهنا
يروى لي القصة الواقعية العقيد محسن الحارثي مدير المدرسة

الحرية في المملكة السعودية سابقا ، وهو لازال على قيد الحياة .
يقول محسن : عندما غزا الاخوان (١) شرقي الاردن كنت وقتها قائدا
تابعا لامارة شرقي الاردن ، وكان مقر قيادتي القرية التي تقع
شرقا من لاردن ، وهي الآن تابعة للمملكة السعودية . . يقول
الراوي : ان القوات الاردنية بعثت اليه بعدد من أسرى الاخوان ،
فقام باكرامهم وعاملهم معاملة ضيوف أعزاء لا كأسرى . . وانما
الذي ادعش « محسن » هو ما رآه منهم من رباطة الجأش وعدم
الاستكانة أو ابداء أي نوع من أنواع الذلة والخنوع . .

وأكد لي محسن بأنه عندما رأى هؤلاء القوم بهذه الصفة
شاء أن يتحدث معهم ليقف على ما تكنه صدورهم وما تنطق به
ألسنتهم ، فكانت المحاوراة التي دارت بين محسن والضيوف
الاسرى يتلخص معناها كما يلي :

محسن : ان البون بيننا وبينكم شاسع الى أبعد حد بالاعمال
الطيبة والرحمة والعدل . ومن أبرز الأدلة على ذلك هو أننا بعد
أز أسرناكم ووقعتم تحت رحمتنا كان بإمكاننا أن نعزركم ونقتلكم ،
ولكننا كما ترون عاملناكم معاملة الضيوف الكرام لا معاملة
الاسرى . أما أتم فلو انتصرتم علينا وأسرتهم منا أحدا فانكم سوف
لاتتورعون عن قتل أي واحد يقع منا بين أيديكم .

١ - كلمة الاخوان ، تطلق على اولئك القوم المتدينين .

يقول محسن : ما ان اتهمت من حديثي هذا حتى انبرى واحد من صفوفهم يبدو انه من كبارهم فقال بهذا المعنى : ان كنت ترى انكم تمنون علينا بعدم قتلنا وترككم لنا أحياء بهذه الحياة الدنيا الفانية فاننا نرى انكم حرمتونا من الاستشهاد في سبيل الله ومن نعيم الجنة والحياة الباقية . واما قولك بأننا لو استولينا عليكم قتلناكم فهذا صحيح لاننا بقتلنا لكم ندخل الجنة ، بينما أنتم بقتلكم لنا تدخلون النار وبئس المصير . واذا كنت نادما على عدم قتلنا فاننا لسنا نادمين على حياتنا بل الأحب ما عندنا هو أن نستشهد في سبيل الله .

هذه الرواية نقلتها عن لسان العقيد المتقاعد الشريف محسن الحارثي مدة لاتقل عن ثماني سنوات ، فان زدت أو أنقصت في اللفظ بحكم طول المدة ، فاني واثق بأنني لم أزد أو انقص في نفس المعنى ، لان القصص ذات المعنى الحيوي كهذه القصة لاتضيع معانيها من الذاكرة مهما يطل بها العهد .

* * *

وكأنني بالقارىء ينتظر مني الحديث عن مدى التطور في ناحية هامة من النواحي التي تتنافى طبعا ، لا أقول مع تطور الفكر الحديث ، بل مع التعاليم الاسلامية وهي : قضية الرق ، فقضية الرق سوف أتحدث عنها وعن مدى تطورها الراهن ، ولكن الذي

أريد أن أنبه اليه القارىء هو اعتقادي الراسخ أن ما وقع وما سيفع من التطور في قضية الرق لم يعد الفضل فيه بالدرجة الاولى للتطور الحديث بل الفضل الاسبق يعود لرسول الانسانية محمد عليه السلام ، لانه هو اول من بذر جذور الحرية ، ونادى بأن البشر كلهم سواسية ، وان الاصل في الانسان هو الحرية ، وكل ما طرأ طارئ على تغيير أو تبديل في الاصل فانه باطل . اما ان الاسلام لم يقض على هذه المهزلة في الجزيرة القضاء المبرم النهائي ، كما انه لم يقض على بعض العادات الموروثة منذ العهد الجاهلي ، كالتمييز العنصري كما سلف ذكره ، فهذا يعود الى ما أشرت اليه آنفا ، وهو انتقال الامبراطورية الاسلامية منذ مقتل عثمان الى بلاد بعيدة عن الجزيرة كالشام والعراق ومصر . وكان ذلك في الحين الذي كان ساكنو شرقي الجزيرة وشمالها كلهم بدوا ورحلا ، ولم يكن في تلك الاماكن مدينة يشار اليها بالبنان . وعندما استوطن هؤلاء البدو القرى وعمروها ، حتى أصبحت الآن مدنا فقد بقيت بعض العادات الجاهلية راسخة الجذور في نفوسهم وخاصة قضية الرق ، وقد كان الرق منذ العهد الجاهلي حتى بداية الفترة الاولى التي كتبنا عنها ، مشاعا بشكل مبتذل ، فكان الانسان يعرض في الاسواق للبيع ، كما يعرض المتاع ، وكان أي بدوي يقع بيده صبي أسود البشرة ويستطيع أن يخلسه بغفلة من أهله ، فانه

لا يتورع عن اختلاسه ، فان كان هذا البدوي فقيرا باع ما اختلس
بأبخس الاثمان ، وان كان يملك قسطا وافرا من الابل والغنم فانه
يستعبده ليتولى رعاية ابله أو غنمه ، كل هذا كان قبل فترة
التطور . . أما الآن فقد تقلص هذا الشيء^(١) وخاصة الاختلاس .
وانه ليطيب لي بأن أعيد ما ذكرته في السياق بأن أسبقية الفضل
لم يكن للتطور ، بل كان الفضل الاول للاسلام ، واليك فتوى
عالم من أكبر وأشهر علماء الجزيرة وهو الشيخ عبد العزيز بن باز
الذي أوافي القارىء بصورة فوتوغرافية عن رسالته التي جاءت
كجواب على سؤال وجهته اليه في عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣ :

ولما كانت رسالة الشيخ ابن باز مختصرة كجواب منه على
السؤال الذي وجهته اليه ، فقد كنت أود أن لو استوضحت
بالسؤال أكثر عن الحكمة التي أباح بها الاسلام استرقاق من

(١) بلغني من مصدر ثقة من أبناء الجزيرة يؤكد ان الحكومة أصدرت
أمرا هذه الأيام القريبة يقضي بعدم الاسترقاق بأي وجه من
الوجوه ، وفي يوم ٨ من شهر ذي القعدة ١٣٨١ الموافق ٥/٢/
١٩٦٢ اجتمعت بسيادة الاستاذ ناصر المنقور وزير العمل
والشؤون الاجتماعية في المملكة السعودية سابقا ، فاستفسرت
منه عما سمعته بخصوص الامر الصادر من الحكومة بشأن منع
بيع وشراء الرقيق ، فأكد لي بأن الذي يعرفه هو ان هذا الامر
بحث في مجلس الوزراء في عام ١٣٨٠ أي عندما كان وزيرا ،
وانه اتخذت بشأنه قرارات تقضي بمنعه منعاً باتاً .

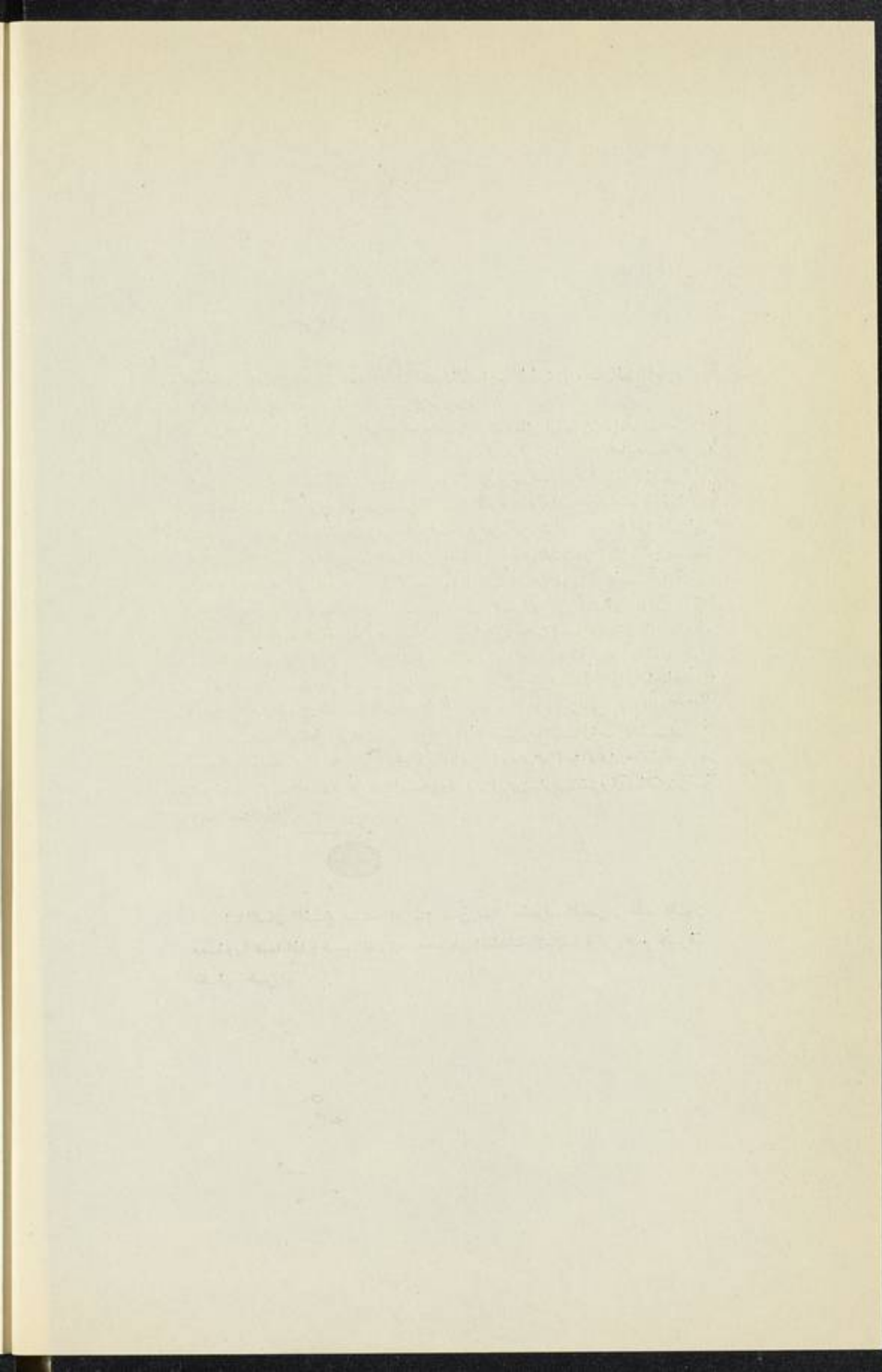
ونحن لانستغرب ان تصدر الحكومة قرارا بمنعه فهذا
شيء طبيعي ، ولكن موضوع الفرابة هو اباحة الاسترقاق مادام
ان الاصل في الانسان الحرية ، شرعا وعقلا .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى فضيلة الأخ الملم الشيخ الفاضل فهد المارستاني زاده الله من العلم والبرهان ونحوه
 القصة في السنة والفرق انبه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 اما بعد فانني احب اليك الله الذي لا اله الا هو على جميع نعمه واسئله تعالى ان يوزعني وان ياتم شؤني وان يعينني
 جميعاً موصياً بفضله واسباب نعمه اني اكتبكم ان كتابكم المزمع في اصول وصحاح من جعل الهدى
 والشوق وبما تعلمه من السؤال كان معلوماً وهذا نص السؤال والجواب وبين ذلك اسئلة التوفيق والسداد
 في القول والعمل السؤال (١) هل يجوز شرعاً استفاد الخافز خاصة اذا كان بين حلونه والتمسك بالإسلام
 معاصره (٢) هل يجوز استفادته كما في ما اذا باع ابنه فويل يكون الرضى شرعياً بمنزلة هذا العمل الجواب
 مناهر الكتاب والسنة انه لا يجوز استفاد الخافز مطلقاً الا بالسبي الشرعي والاشارة انما يكون بعد العودة
 الشرعية المشتملة على الدعوة الى الاسلام وبديل الجزية ان كان ذلك كافر بغير اخذها منه كاهل الكتاب
 والجوس فيمنع من قبول الاسلام وبديل الجزية فحين يذبحون لاسم الجحيم الاسلامي قتل المغالطة وسبي
 الذرية والنسابة بغير ذلك ويتبعه عليه مع القدرة وما وقع في به من الاسرار فيه به الغفل والموت
 والاستفاد والمعاداة فيما ذر وضع ذلك اهل العلم في كتاب المهراء اخذ من مناهر الفراء والاحاديث الصحيحة
 الواردة في هذا الباب اما استفاد الخافز بعد هذه الطريق فلا اعلم حتى يستريحه مثل ما جواز به بل مناهر السنة
 شريفة والحمد لله على ما في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال قال الله تعالى
 ثلاثة انا خصم يوم القيمة صل اعطى في نعمه نور على باع حرافة لم يخد ورجل اسأله اجراً فاسئله من دونه
 بعد احواله اني ومعلوم ان الاصل في سبي آدم هو الجزية فلا يجوز الخروج عن هذا الاصل الا بتمسك شرعي واذ ذهب بعض
 اهل العلم الى جواز الاستفاد بطرق اخرى غير السبي ذلك لم يدره محمد بن عبد الله بن باز فالحمد من حيث
 الابل هو ما تقدم والاعلى من الله عز وجل



ما كان الشيخ عبد العزيز بن باز مكفوف البصر . فقد يكون
 معلوماً فيما اذا وجد القارىء بعضاً من الغلطات الاملائية ، او وضع حرف
 مكان آخر .



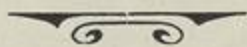
لا يؤمن برسالته بعد الاستيلاء عليه ، والذي يبدو هو ان الاسلام
لم يبح استرقاق الانسان بأي وجه من الوجوه الا من قبيل المعاملة
بالمثل . ولما كان أعداء الاسلام اذا أسروا نفرا من المسلمين في
الحرب استرقوهم ، فانه من المسلم به أن يعامل الاسلام أعداءه
من جنس العمل الذي يعامله به أعداؤه . كما ورد في قوله تعالى :
(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) .
وقوله : (وجزاء سيئة سيئة مثلها الى آخر الآية) .

ومن المعلوم ان محمدا عندما أسر المشركين في غزوة بدر لم
يسترقهم ، ولم يكن في القرآن الكريم آية من آي الذكر الحكيم
تشير الى استباحة استعباد الانسان للانسان ، وكل ما جاء في
القرآن بشأن اسرى الحرب هو قوله تعالى : (فاما منّا بعد ، واما
فداء) .

فالى هؤلاء الذين يصمون الاسلام بما ليس فيه ، تؤكد بأن
الاسلام بريء مما يصمه الاعداء ، والى هؤلاء الذين يستعبدون
الامم ، ويعيشون على مجهود الملايين من بني البشر كمستعمرين ،
ومن ثم يضللون البسطاء من الناس بأنهم هم أول من بدأ بتحرير
الانسان من استعباد الانسان . الى هؤلاء واولئك تؤكد بأن أول
من نادى بتحرير الانسان من استعباد أخيه الانسان هو رسول
الانسانية محمد عليه الصلاة والسلام ، وذلك في الفترة التي تعتبر

عند الاوروبيين ما قبل القرون الوسطى ، فتلك القرون التي تسمى
عندهم قرون ظلمات وقرون وسطى هي في تاريخ العرب بعد
الاسلام تعتبر فترة الانتفاضة الفكرية من عبادة الاوثان ، سواء
ما كان منها جمادا أو ما كان بشرا •

أما أن يقال بأن تحرير الانسان من الاستعباد والاستعمار ، لم
يتحقق الا بعد القرن العشرين ، فهذه الحقيقة الواقعية لانستطيع أن
تقول ان الفضل فيها يعود لاولئك المستعمرين ، بل يعود الفضل
بالدرجة الاولى للرسول الاعظم ، ثم بالدرجة الثانية لتطور الوعي
البشري الذي جعل عشرين دولة تأخذ استقلالها الكامل رغم أنف
المستعمرين أو المستعبدين ، وذلك في خلال سنتين فقط من عام
الستين الى عامنا هذا ١٩٦٢ • ناهيك بعدد الدول التي نالت
استقلالها منذ الحرب العالمية الثانية حتى الآن. فهل يقال ان الفضل
يعود للطغاة المستعمرين الذين لم يتركوا شبرا من الارض التي
استعبدوا أهلها حتى أراقوا على تربتها الطاهرة من دماء ابنائها
الاحرار البررة الشيء الذي لاحصر له ، كما هو الحال الآن في
الجزائر المجاهدة؟ أيسكن أن تؤمن بهذه الخدعة وتقول أن الفضل
يعود لهؤلاء الطغاة المستعبدون كلا وألف كلا •



الفترة الثانية

فيلك فريمان

التطور في شتى النواحي

لا أريد أن أفند الأشياء في الكتابة عن هذه الفترة كما فندتها في كتابتي عن الفترة الأولى ، بل ستكون كتابتي عن الأمور الحيوية التي أشرت إليها آنفا كالحياة الاجتماعية والاقتصادية والصحية الخ . كلها مدمجة بهذا الفصل ، والسبب هو انه لم يكن ثمة فرق كبير بين الفترة الأولى وبين هذه الفترة ، فان يكن هناك شيء من الفرق فانه لم يكن فرقا جذريا ، أي من ناحية التطور الفكري بصورة خاصة .

لقد تمت السيادة المطلقة في هذه الفترة للمرحوم الملك عبدالعزیز ، لا على شمالي وشرقي الجزيرة فحسب ، بل وعلى غربها وجنوبها كوحدة كاملة كما هي قائمة الآن ، وهي خطوة موفقة لا يستهان بجلالة قدرها ، جزى الله من غرس بذرتها وساهم بها خير ما يجازي به عباده الصالحين . وعلينا أن لا ننسى بأن هذه الوحدة المباركة

لم تتم الا بعدما لاقى المواطنون من أبنائها العناء والنصب والتضحية
بالنفوس وبالدماء الزكية التي أريقت في سبيل تحقيقها من كلا
الجانبين ، القدر الذي جعلنا نؤمن بأنه ما من وحدة في التاريخ
تتم بين المواطنين الا بعد ما يدفع المخلصون ارواحهم وأبناءهم
قربانا لها فداء في سبيلها ، وأموالهم مهرا لرفاتها المقدس ، واما
الذين يظنون وهماً بأن تتم وحدة أمة ما بلا ثمن فهؤلاء اما انهم
يجهلون تاريخ الامم التي تمت وحدتها أو اتحادها ، أو انهم يعللون
أنفسهم بالآمال الوهمية والاماني المعسولة ، وعندما يقفون من
الحقيقة وجها لوجه ، عندئذ يصطدمون بالعقبة الكأداء التي لا يقتحمها
الا المواطنون الافذاذ الذين جردوا أنفسهم من كل معنى من معاني
الانانية والانتهازية والمصلحة الخاصة وجعلوا مصلحة أمتهم فوق
كل شيء وبعد كل شيء •

وفي هذه الفترة تم القضاء النهائي على قوة الاخوان في عامي
١٩٢٨ و ١٩٢٩ وبعد القضاء على قوة أولئك الاشداء لم يبق أية
قوة معارضة للملك في الجزيرة كما أنه بدأ التغير نسبياً ، فمثلا
كان الاتصال بين الرياض ومكة المكرمة في موسم الحج على الابل
حتى ان الملك نفسه يحج على الابل ، ولكن فيما بعد تغير الوضع
وأصبح الملك وأسرته ومن يتبعه يحجون على السيارات ، اما
السواد الاعظم من الشعب فقد كان حجهم على الابل ، ولكن بدأت

السيارات تنتشر عاما بعد عام حتى أصبح الجميع في نهاية هذه الفترة يحجون على السيارات ما خلا بقية باقية من البادية ما زالت تستعمل الابل . وفي منتصف هذه الفترة وصل الى البلاد المذيع ، وكان المفروض أن يكون مجيئه طامة كبرى على البلاد فيما لو جاء فجأة وبدون سابق انذار . . . ولكنه لم يأت لحسن الحظ الا بعدما سمع به الناس ، وعندما ألف أهل البلاد نوعا من الصناعة الحديثة كالسيارات مثلا واللاسلكي ، وعندما أصبح لهم بعض الاتصال بالعالم الخارجي وان كان ذلك الاتصال محدودا ، وبالتالي بعدما تواترت الروايات الكثيرة عن أخبار المذيع قبل أن يأتيهم فجأة ، فأصبحوا بين مصدقين وبين مكذبين ، وقد كان النوع الاخير أكثر عددا من الاولين ولكنهم - أي المكذبين - وان كثر عددهم في البداية فلا بد ان يتلاشى هذا العدد حتى يضمحل في النهاية ، وذلك خضوعا للامر الواقع ، ولا سيما وقد جربوا فيما سبق أن انكروا السيارة بل وحطموها معتقدين انها من أعمال الالبسة والسحرة ، ثم انهم تراجعوا وكذبوا أنفسهم وذهبوا يشترون السيارة بأعلى الاثمان ، كما جربوا أن أنكروا اللاسلكي ثم اضطروا أن يؤمنوا به وأصبحوا يرون أن وجوده كالسيارة ضرورة من ضروريات الحياة التي لا يستغني عنها المواطنون .

وهنا لابد من القول أنه لابد من وجود نفر معين من علماء

الدين ، يرون أن استعمال المذياع (الراديو) محرم ، وخاصة اذا
استعمل للغناء ، ولكن الرأي العام مضى في سبيله دون أن يلتفت
لرأي محرميه ، وأكثر شيء جعل الراديو مقبولا هو أن مجيئه
صادف اندلاع نار الحرب العالمية الثانية ، مما جعله ضرورة لا بد
منها .

ولكن على الرغم من أن المذياع في أيام الحرب قد
انتشر حتى أصبح كل مواطن قادرا على شرائه ، على الرغم من ذلك
فاننا لانستطيع أن نقول أن الوعي الشعبي بلغ من سمو التفكير
ونضج الادراك بشكل اجماعي ما يجعلنا نؤمن بأنه قضى على
الخرافات القائلة بأن الراديو من صنع الجان والسحرة ، فالحقيقة
هي انه وان تكن ثلاث تلك الخرافة من عقول الاكثرية الساحقة
من الشعب ولكن الامر لا يخلو من بقية رواسب في عقول القليل
من سدج الشعب ، وعلى سبيل المثال اذكر أيامها مواطننا اعتقد انه
لازال على قيد الحياة سمعته يقول : أنا لا أكذب حدسي بأن الذين
ينقلون لنا الاخبار هذه لم يكونوا الا من شياطين الجان يصورون
لنا الاحداث كيف يشاؤون ، ثم يمضي صاحبنا السطحي بحديثه
قائلا : أجل فلو لم تكن الاخبار التي يتحدث عنها هذا (البلية)
يقصد (الراديو) كلها محض افتراء وكذب من أساسها ، لولا ذلك

لما بلغ عدد القتلى من الجانبين (١) يوميا ما يزيد على مئات الالوف،
ثم يستطرد صاحبنا قائلا : أجل وهل يوجد في الدنيا كلها بشر
يلغ عددهم من الكثرة ما يعادل القتلى الذين يشير اليهم هذا
الشیطان المفتری •

وفي هذه المناسبة اذكر في أيام الحرب العالمية الاخيرة ، اذكر
شخصا آخر سمعته يقول : أنا لا أشك قطعا الا أن الجان يحاربون
بجانب الجيش الالماني جنبا لجنب ، ثم يمضي مؤكدا بقوله : ولو
لم يكن كذلك لما تمت لهم هذه الانتصارات على أعدائهم ، وهذا
القول من صاحبنا الاخير قاله قبل أن تتحقق هزيمة الالمان طبعاً •
هذا وقد كان المذيع اذ ذاك يستعمل بواسطة البطارية ، والسبب
هو انه لا يوجد مؤسسة كهرباء في البلاد ، الا انه وجدت فيما بعد
محركات كهربائية صغيرة محلية يستعملها بعض القادرين •

وفي عام ١٩٣٣ م الموافق ١٣٥٥ حصل في نظام الحكم ماتجدر
الاشارة اليه وهو البيعة بولاية العهد لجلالة الملك سعود الحالي ،
كما كان سمو الامير فيصل نائبا لوالده في المنطقة الغربية منذ
فتحها ووزيرا للخارجية •• والجدير بالملاحظة انه لم يوجد في
نظام الحكم فيما سبق اسم وزير ، أو وزارة ، الا انه بعد ذلك
عين الشيخ عبد الله بن سليمان وزيرا للمالية ، وكانت لديه صلاحية

(١) يشير الى قتلى الحرب العالمية •

أشبهه ما تكون بصلاحيه رئيس الوزراء في نظام الحكم الجمهوري
اذا لم أقل أكثر منها . وقد كان ابن سليمان هو أول وزير عين من
أبناء الشعب . لما كان الامر كما أسلفت لم يوجد وزير غيره ، فقد كانت
كلمة وزير اذا أطلقت يعرف من معناها ان المقصود بها عبد الله
ابن سليمان . هذا وقد فاتني أن أشير الى ان المرحوم الملك
عبد العزيز لم يطلق عليه اسم - ملك - الا بعد مدة من توليته
لغرب الجزيرة وجنوبها - أي بعدما تمت له السيادة المطلقة على
انجزيرة بكاملها - وكان الاسم المعروف به عند أهل الجزيرة قبل
ذلك هو الامام عبد العزيز ، ولا زال هذا الاسم هو الطابع البارز
على أفواه المواطنين حتى آخر هذه الفترة وخاصة عند العلماء . .
وعندما أقول « العلماء » أقصد علماء الدين لان الاصطلاح الدارج
بين المواطنين يشير الى هذا المعنى .

هذا وقد عين بعد عام ١٩٤٠ المرحوم الامير منصور وزيرا
للدفاع ، كما عين بعدها الامير عبد الله الفيصل بن عبد العزيز وزيرا
للصحة والداخلية . . وقد كان المقر الدائم لهذه الوزارات غربي
الجزيرة أي في مكة المكرمة في بداية الامر ثم جده أخيرا . وكما
ذكرت سابقا بأنه لم يحدث في الجزيرة من التطور الجذري في
هذه الفترة الثانية ما يدعو للانتباه ، فان يكن شيء من ذلك فانما

هو ضمن نطاق محدود على الاشياء الشكلية التي يطيب لي
الإشارة إليها بما يلي :

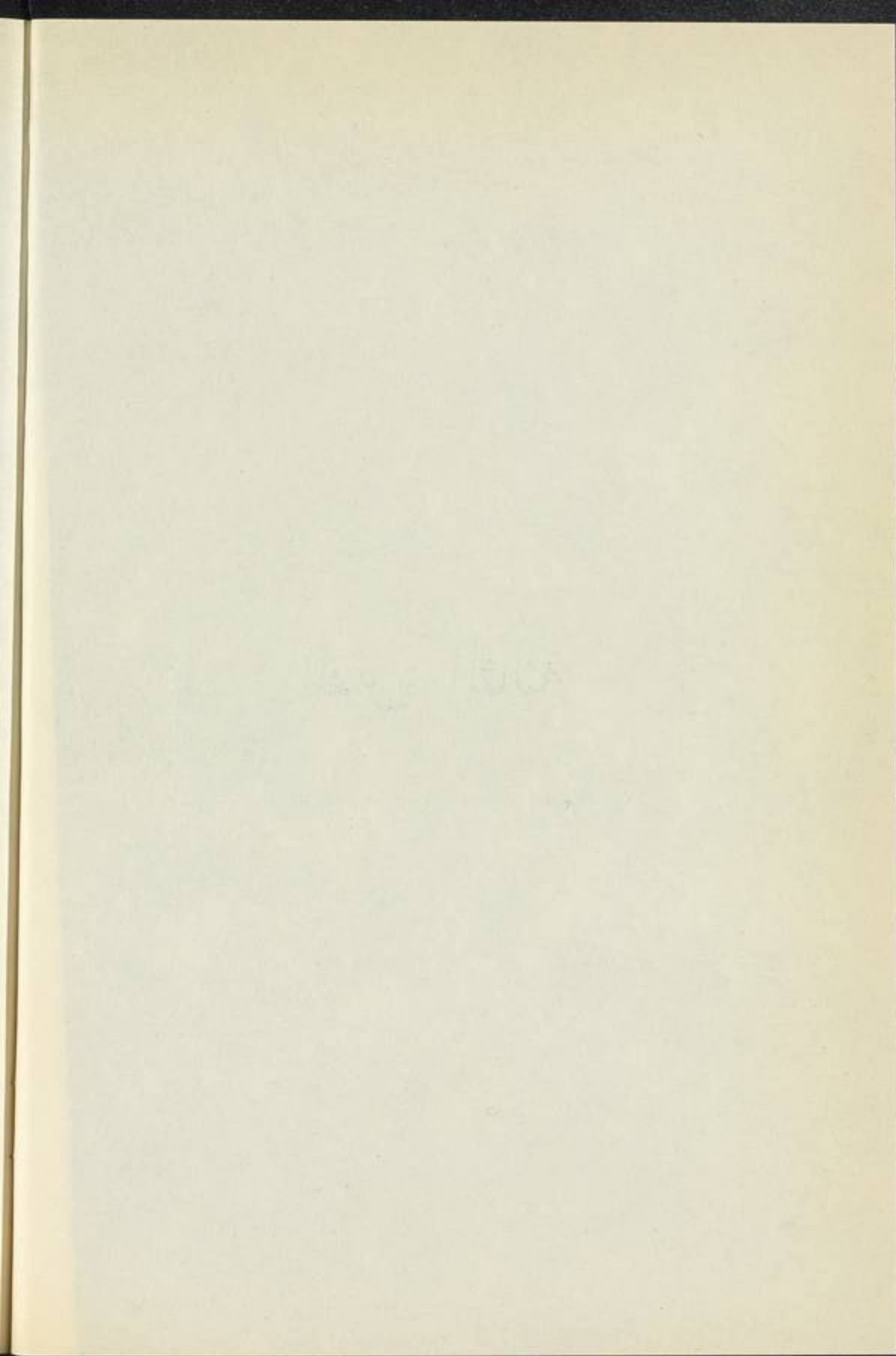
وضع شرطة للامن في الرياض فقط ، وهذه الشرطة في بداية
أمرها لم يبرز على أفرادها الطابع العسكري كالبزة العسكرية
مثلا . وذلك مراعاة لسخط بعض المواطنين ونفورهم وهم يعتقدون
ان من يرتدي البزة فانما هو يتشبه بالكفرة ، ومن تشبه بقوم فهو
منهم حسب ما يؤمنون به ، فمعناه ان من يلبس بزة تشخص عضلات
الجسم كالكفرة ، واذا لم يكن على حافة الكفر ، فانه مخالف لله
ولرسوله . أو بالاحرى مخالف للعادات والعرف المألوف الذي
يوشك ان يكون سلطانه فوق كل شيء .

وبمناسبة ذكر العادات التي كان لها تأثير فعال في اتجاه
المجتمع ، بهذه المناسبة اذكر انه حتى اللباس المعتاد في البلاد
المكون من عقال وغطاء للرأس المسمى (شماغ أو غترة) ثم عباءة
وقميص فحذاء من الالبسة التي أجمع المواطنون على لبسها كزي
شعبي ، حتى هذه الاشياء ، اذا شاء أحد المواطنين أن يغير واحدة
منها مثلا (كالشماغ) الاحمر الذي يوضع فوق الرس ، اذا شاء
أحد تبديله بقطعة من نوعه الا انها تختلف بالصبغة أي بدلا من
كونه أحمر يكون أزرق ، فانه سوف ينظر اليه شزرا خاصة في
شرقي الجزيرة . . ومن هذه الامور يعرف القاريء ما يعاينيه

المجتمع من قوة سلطان العادات الطاغية على كل شيء •
هذا وان النفور من ارتداء البزة لم يدم طويلا ، بل تقلص شيئا
فشيئا حتى أصبح شيئا مألوفا • ومن الامور التي دخلت الجزيرة
في الفترة الثانية وجود الاشعة الطبية •• وكان دخول هذه الآلة
الطبية بعد عام ١٩٣٥ وهي البكر من نوعها ، أو لا يوجد قبلها شيء ،
بل هي الوحيدة عند الطبيب الحكومي • كما انه وجدت صيدلية
حكومية ، وهذه الصيدلية تقوم مقام المخبر الطبي حيث يوجد فيها
طبيب طاعن في السن يدعى احمد ياسين وهو من سورية ، وهي
أبعد ما توصف به من التأخر ، الا انها خير من لا شيء ، وهذه
الصيدلية وجدت في مدينة الرياض فقط ، ولم يوجد في مدن
المنطقة الشرقية والشمالية سواها •

وفي هذه الفترة تحسن وضع البلاد نسييا من ناحية المعيشة،
وكما ذكرت كثرت السيارات ، وأصبح ثمة بريد في البلاد يسير
في كل اسبوع مرة واحدة بين العاصمة الغربية التي هي مدينة
الرياض وبين العاصمة الغربية وهي مكة المكرمة •• بل وأكثر من
ذلك فقد ظهرت في آخر هذه الفترة طائرة « داكوتا » ذات
المحركين • وذلك بعد عام ١٩٤٥ • وفي آخر الفترة المذكورة تفجر
أول ينبوع من البترول ، وكان الامر طبيعيا أن يتغير مجرى الحياة
رأسا على عقب بعد تدفق الذهب الاسود كما يقال عنه ، الا ان
الطفرة السريعة والتطور على شتى أنواعه ومراحله لم يأت الا بعد
عام الخمسين •

الفترة الثالثة



الحياة الاقتصادية والاجتماعية

منذ النصف الاول من القرن العشرين بدأ التطور في شتى النواحي يسير سيرا حثيثا لا هوادة فيه . وقد ذكرت عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الفترة الاولى كيف كان أهل البلاد يقاسون من البؤس والحرمان الشيء الذي يعجز عنه الوصف .

كما ذكرت ان القوت الرئيسي كان التمر ، واما الآن فقد تبدل الوضع ، وشمل التقدم الاقتصادي عامة سكان المدن وارتفعت المعيشة ، وزاد مرتب العامل والموظف زيادة لا أستطيع تحديدها لانها فوق التصور ، خذ مثلا الفتى الذي دون سن البلوغ والذي يستأجر لخدمة المنزل ، لان الفتيات لا يقبل أولياؤهن أن يخدمن في المنازل، ان هذا الفتى اذا كان فقيرا أو يتيما كان سابقا يخدم في بيت أحد المواطنين مقابل كسائه وغذائه فقط ، ويرى هذا المواطن الذي

يستخدمه انه يمن عليه بمعيشته هذه ، كان هذا لافي الفترة الاولى فقط بل حتى في منتصف الثانية . أما الآن فان المواطن يفتش على من يخدمه من الفتيان بمائة ريال فلا يكاد يجد أحدا ، فان وجد فبعد العناء والمشقة .

كان الفقير المدقع الذي تبلغ به الفاقة حد التسول، كان اذا اضطر للسؤال لا يسأل الا لقمة العيش أو حفنة من التمر ، واذا أعطي شيئا من ذلك التهم اللقمة التي تقدم اليه من يد المحسن بدون وعي، وذلك من شدة الجوع (١) . أما الآن فانك لن تجد في البلاد سائلا واحدا يسأل الطعام ، وانما يسأل النقود . ولكيما يتميز للقارىء جليا مقدار نسبة ارتفاع المعيشة ونسبة التطور الاقتصادي أقدم مثلا محسوسا كالآتي :

لقد كان مبلغ الغرامة التي يدفعها المواطن اذا قتل نفسا خطأ بدون عمد ، كانت الغرامة المدفوعة من قبل القاتل لاهل المقتول ثمانمائة ريال ، أما بعد ما ارتفعت الحياة الاقتصادية فان القاضي الشرعي قد لاحظ زيادة المعيشة بعين الاعتبار ، ثم قرر القضاة في المملكة أن تكون الغرامة ثلاثين ألف ريال . ومن هنا

(١) لازالت اذكر في اول طفولتي قصة مؤلمة عن سائل جاء يدق منزلنا مساء ، فأخذت والدتي من الطبخ الذي كان أنزل عن النار بعد النضج وقدمته للسائل ، ونسيت أنه حار فالتهم السائل بعضه وعندما دخل جوفه صاح من شدة حرارته ثم وضع البقية على الارض وعاد يلعبها بعدما بردت .

ندرك مقدار نسبة ارتفاع المعيشة ومقدار نسبة التطور الاقتصادي والاجتماعي اللذين فوجئت بهما البلاد ، بظرف قصير جدا ، حيث يعادل ذلك الارتفاع أكثر من سبعة وثلاثين مرة عما كان عليه ، أي عندما تقارن بين دية القليل التي كانت ثمانمائة ريال سابقا ثم غدت ثلاثين الف ريال اليوم .

ولقد فاتني الإشارة في هذا العهد الى موضوع هام ، وهو حفظ مالية الدولة حيث كانت في الفترة الثانية وحتى بداية الفترة الاولى غير محفوظة على النهج الذي تسير عليه الآن .

لقد كانت الامضاءات التي تعتبر سارية المفعول على خزينة الدولة كثيرة . وان الانسان ليعجب كيف لا تعلن الخزينة افلاسها عندما نذكر الاوامر التي تصدر على المالية وينفذ الكثير منها بدون تردد ، فالواامر التي لا ترد كانت كما يلي : أوامر الملك عبدالعزيز طعماً . وولي عهده الملك سعود الحالي . والامير فيصل نائب الملك في المنطقة الغربية . وأوامر وزير المالية الشيخ عبد الله آل سليمان وهذا قد تكون أوامره التي يصدرها على المالية في الطليعة ، وذلك أنه علاوة على كونه وزير المال فهو الرجل الوحيد الذي لا يعارض ولا تناقش أوامره على الخزينة . وذلك ان الملك

عبد العزيز قد منحه صلاحية لا حد لها وكل ما في الامر انه اذا جاء آخر العام لميزانية الدولة يقدم الوزير للملك مجموع الشيء الذي صدر به أمر من قبله على المالية ، ومهما بلغت النفقات من الرقم القياسي فان الملك يوقع للوزير عليها ، فيحتفظ الاخير بهذا التوقيع ليبرزه فيما اذا دعا الامر اليه .

وفعلا بعدما توفي الملك عبد العزيز ، وبدأت فترة التطور كان هناك من يقول بمناقشة الوزير ابن سليمان ومحاسبته عن الاوامر التي أصدرها على المالية عندما كان وزيرا ، ولكن تلك الفكرة لم تبرز الى حيز الوجود ، والسبب هو أن الوزير كان محتفظا لنفسه بخط الرجعة باستناده على الاوامر التي كانت في حوزته من الملك عبد العزيز .

ومن الاوامر التي كانت سارية المفعول على المالية أمر الشيخ عبد الرحمن الطيبي رئيس الخاصة الملكية . وأمر حمد آل سليمان شقيق الوزير عبد الله . وأمر سليمان ابن أخي الوزير . وأمر محمد سرور الصبان عندما كان مديرا للمالية ثم وكيلًا ثم وزيرًا لها . وهناك بعض الامراء أنجال الملك الكبار كمحمد وخالد ، فقد كانت أوامرهما في بداية الفترة الثانية مقبولة الى حد قليل نسبيا وضمن نطاق محدود

للفتاة ، وكان ذلك في بداية الفترة الثانية فقط .

وخلاصة القول هو أن الذي يوافق عليه وزير المال عبد الله بن سليمان ، فإن أمره يكون مقبولا ، ومن يعارضه فلا قبول له مهما كان شأنه .

ومن المعلوم انه لم يكن للملك راتب محدود ، لا يزيد عليه وإذا كان هناك شيء من ذلك فمن الناحية الشكلية ليس الا ، أما من الناحية العملية فإن الملك لا تقف نفقاته أو أوامره عند حد معين وعندما جاء الملك سعود ظلت الامور على ما كانت عليه أي لم يحدد للملك مرتب بصورة عملية ، اللهم الا انه بدأ التحديد لراتب الملك في عام ١٣٧٥ الموافق ١٩٥٥ . ولكن هذا التحديد لم يتخذ الطابع العملي الا في عام ١٣٧٨ الموافق ١٩٥٨ ، عند ذلك حدد للملك وأسرته ومن له به صلة ، مرتب معين لا يزيد عليه قطعيا .

وأصبح الملك لا يأمر على المالية ولا على شيء من خزينة الدولة الا ضمن مرتبه المخصص ، وما دام أن الملك قد توقف عن اصدار أوامره الى المالية ، فانه من بدهيات الامور ان لا تعتبر جميع تلك الاوامر التي كانت تصدر جزافا على المالية من الجهات المتباينة السالفة الذكر ، وهذا التطور الملحوظ كله منذ سبع سنوات فقط .

الناحية الزراعية

سبق ان ذكرت أنه لم يكن يوجد في البلاد أية آلة زراعية في الفترة الاولى ، وقد بدأ دخول الآلات الزراعية للبلاد في آخر الفترة الثانية ، ولكن النسبة كانت قليلة جدا ، ثم دارت الايام فاذا الآلات الزراعية تشمل كافة أنحاء الجزيرة . ويبدو أن النمو الزراعي في الجانب الكائن بين شرقي الجزيرة وشمالها المسمى بالقصيم سيكون أكثر اتاجا من غيره ، وذلك بحكم وفرة الآلات الزراعية ، التي أوجدها بتلك الناحية التجار المواطنين البررة آل راشد . وقد اثبتت التجربة بعد عملية الحفريات أن تحت تلك الارض بحرا من الماء القراح الزلال الذي لا ينضب مهما كثر استهلاك المستهلكين . ولئن كانت البلاد لازالت تستهلك بعضا من مواد الزراعة ، ففي اعتقادي انه لن تمضي مدة وجيزة حتى تستغني البلاد عن الاستيراد الزراعي من الخارج . هذا وسوف يتم حتما بعون الله

متى ما انشيء بنك زراعي اسوة بالبلاد المتحضرة ، وما دامت البلاد
سائرة في سبيلها الى التطور فانه من كمال تطورها أن يكون فيها
بنك زراعي يعين الفلاحين على تأدية مهمتهم على أكمل وجه • هذا
وقد قدمت الحكومة لبعض المزارعين آلات زراعية على سبيل
السلفة ولكنها بالتالي سامحتهم نهائيا بدفع قيمتها كتشجيع منها
للزراعة •



الناحية الصحية

لا شك بأن البلاد تحتاج الى مزيد من العناية الصحية بالنسبة لاتساع مساحتها ، وخاصة القرى والبادية ، حيث تدعو الحاجة للرعاية الصحية الوافرة . ولكننا عندما تقارن بين ماتعانيه البلاد من الناحية الصحية ، لافي الفترة الاولى التي تعتبر بدائية، بل حتى في الفترة الثانية ، اذا ما قارنا بين تلك الفترة وبين هذه الفترة نجد بلا شك أن ثمة تطورا محسوسا من الناحية الصحية . وليس أدل على ذلك من عدد المستشفيات التي أنشئت في هذه الفترة الوجيهة .

ففي مدينة الرياض توجد المستشفيات الآتية : مستشفى الملك عبد العزيز - مستشفى الملك سعود - المستشفى العسكري - مستشفى المعهد الصحي لتخريج ممرضين ومساعدين صيادلة وأشعة مختبرات .

أما المستوصفات في مدينة الرياض فأكثر من خمسة ومن بينها
مستوصف لمكافحة السل • وفي بلدة بريدة عاصمة القصيم يوجد
مستشفيان أحدهما للرجال والآخر للنساء ، ومستشفى في بلدة
عيزة • ومستشفى في بلدة الجمعة ، ومستشفى في بلدة حائل،
ومستشفى في بلدة الجوف ومستشفى في بلدة عرعر ومستشفى
في تبوك •

ومستشفى عسكري في الخرج ، وفي الخبر مستشفيان : واحد
أهلي يدعى المستشفى الدويسري ، والثاني حكومي ، كما ان في
الاحساء مستشفين ، وفي بلدة الجبل مستشفى ، ومستشفى
لا أذكر اسمه الآن يقال ان السفير سعود بن دغيرثر أنشأه في
الدمام • هذه سبعة عشر مستشفى لم يبرز منها واحد الى حيز
الوجود الا بعد فترة التطور • أما المستوصفات فانها بحسب ماروي
لي الدكتور أحمد الطباع الملحق السعودي الطبي في السفارة السعودية
بيروت والذي نقلت عنه هذه المعلومات لا تكاد تخلو منها قرية في
المملكة • ولما كنت أعرف أن الجزيرة فسيحة الارحاء فاني لأستكثر
هذه المستشفيات وتلك العناية الصحية بل أعتقد أن البلاد تحتاج أيضا
الى المزيد من العناية بحكم كثرة سكانها واتساع رقعتها • ولكن
الذي يدعو الى الاطمئنان هو اننا اذا نظرنا للتقدم الصحي بهذه
السرعة فاننا نكون على يقين راسخ بأنه لن تمضي فترة وجيزة حتى

تأخذ البلاد حقها الوافر من العناية الصحية • وعسى أن يتحقق ذلك
بِعون الله •

وبعد فإن هذه المستشفيات جميعا كما أشرت حديثه العهد ،
وقد أنشئت في فترة التطور ، في الجانب الشرقي والشمالي من
المملكة ، في تلك الاماكن التي لم يكن فيها قبل هذه الفترة أي
شيء من هذا النوع •

أما الجانب الغربي من المملكة فلم يكن فيه مستشفيات بالمعنى
الصحيح • لم يكن في مكة وجدة والطائف والمدينة المنورة غير
مستشفيات من النوع القديم جدا كمستشفى جواد في مكة ،
ومستشفى باب جديد في جدة الخ •• وهي من المستشفيات الهرمة
التي أعتقد أنها ترجع الى العهد العثماني أو قريب منه ، اما
المستشفيات التي أحدثت بعد فترة التطور في هذه المنطقة فانها
كما يلي :

مستشفى الزاهر في مكة - مستشفى الرمد - مستشفى منى •
وفي الطائف : مستشفى الامير فيصل - المستشفى العسكري
مستشفى للأمراض العقلية - مستشفى السدود للسبل •
وفي جدة مستشفى الملك سعود - مستشفى الولادة •

هذه المستشفيات كلها حكومية ، أما المستشفيات الاهلية بجدة
فهي المستشفى اللبناني بجدة ومستشفى دريس أيضا في جدة .
أما المستشفى الذي في الظهران فانه تابع لشركة أرامكو .
ولذلك لم أضعه ضمن المستشفيات الحكومية ولا الاهلية وان كان
من أحسن المستشفيات الحديثة .
وبعد فان التطور الصحي في البلاد مهما كان متقدما بالنسبة
للحاضر ، ولكن بالنسبة لكثرة السكان فانه يحتاج الى مزيد من
مضاعفة الجهود التي يبذلها المسؤولون .



الناحية الثقافية

لما كانت مواد كتابنا هذا قد استمدت الكثير منها من ذاكرتي لان بعضا منها بكر من نوعه ، ولما كنت الآن بعيدا عن المملكة وان كان لا يخفى علي شيء من تطورها من شتى النواحي بصورة عامة، الا أنني أجهل التفاصيل الموضحة بالارقام عن نسبة عدد المدارس التي فتحت من جديد ، ولذا فقد طاب لي الاتصال بالملحق الثقافي لوزارة المعارف في لبنان حيث وافاني بكتاب أصدرته وزارة المعارف السعودية بعنوان : (تقرير موجز عن تطور التعليم العام) في عام ١٩٦٠ - ١٩٦١

والى القارىء صورة طبق الاصل عن بعض ماورد في هذا التقرير الوارد في حقل الكتاب المذكور موضحا كما يلي :

« تلقى وزارة المعارف استجابة كاملة وتشجيعا كبيرا من الدولة

التي لا تضمن عليها بالميزانية الكافية لمشروعاتها الكثيرة • ولقد كانت ميزانية التعليم :

في عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ : ١٢٣,٠٦٨,٠٠٠ ريال سعودي ، فأصبحت

في عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ : ١٣٧,٠١٣,٢٠٠ ريال سعودي •

بزيادة قدرها : ١٤,٩٤٤,٢٠٠ ريال سعودي أي بمقدار

١٣٪ من ميزانية العام الماضي •

وفي الجدول الآتي عدد المدارس والفصول والمدرسين

والتلاميذ في كل قطاع من قطاعات التعليم في عامي ١٩٦٠-١٩٦١:

نوع التعليم	عدد الفصول		الزيادة المئوية	عدد التلاميذ		الزيادة المئوية	عدد المدرسين		الزيادة المئوية
	١٩٦١	١٩٦٠		١٩٦١	١٩٦٠		١٩٦١	١٩٦٠	
الابتدائي	٤٤٠٦	٣٧١٠	٪ ١٨,٨	١٠٤٢٠٣	٨٥٨٤٧	٪ ٢١,٤	٤٩٤٠	٤٠٥	٪ ٢١
الثانوي	٩٤	٧٦	٪ ٢٣,٧	١٨٦٤	١٢٦٠	٪ ٤٨	٢٠٦	١٧٤	٪ ١٨,٤
المتوسط	٢٢٤	١٨٠	٪ ٢٤,٤	٥٤١٧	٤٤٦٦	٪ ٢١,٣	٤١١	٣٥٧	٪ ١٥,١
الصناعي المتوسط	٥٩	٤٩	٪ ٢٠,٤	١٢٦٩	٨٦٧	٪ ٤٦,٤	١٥٠	١٣١	٪ ١٤,٥
التجاري المتوسط	١٨	٩	٪ ١٠٠	٤٩٤	٢١٤	٪ ١٣٠,٨	٣١	١٥	٪ ١٠٦,٧
الزراعي المتوسط	٨	=	نوع جديد	نوع جديد	١٩٨	=	١٩	=	نوع جديد
الصناعي الثانوي	٢٨	=	نوع جديد	٨٠٧	=	نوع جديد	٩	=	نوع جديد
معاهد المعلمين	١٤٦	١٢٨	٪ ١٤,١	٣٤٩٧	٢٦٨٧	٪ ٣٠,١	٣١٣	٢٤٨	٪ ٢٦,٢

التعليم الابتدائي

ظفر التعليم الابتدائي من ميزانية التعليم في العام الماضي
بنصيب أكبر مما ساعد على زيادة عدد المقبولين الجدد بالسنة
الاولى زيادة طيبة • بل انها قد زادت على ما كان مقدرا لها في
انعام الاول من مشروع السنوات الخمس •

المدارس المتوسطة الصناعية

لم تلق المدارس الصناعية في ماضيها مثل ما لقيت من اقبال
الطلاب عليها في هذا العام ، وتعنى الوزارة باثشاء مبان جديدة
كاملة الاستعداد لمواجهة الوعي الجديد نحو الصناعة والتصنيع •
وقد زيد على الاقسام التي كانت قائمة في الماضي قسمان
جديدان هما قسم السجاد وقسم الاثاث المعدني •

وعلى ذلك أصبح في المدارس الصناعية السبع الاقسام الآتية:

كهرباء - برادة - حدادة ولحام - خراطة - سمكرة واعمال
صحية - سيارات - سباكة - نجارة ونماذج - نجارة أثاث -
نجارة عمارة - حفر على الخشب - بناء السفن - حديد زخرفي
معادن - أثاث معدني - مبان - سجاد ونسيج - طباعة وتجليد
نقش وزخرفة •

المدارس المتوسطة التجارية

لم يبدأ هذا النوع من المدارس الا في العام الماضي ، ومنذ اللحظة الاولى ظهر اقبال التلاميذ عليه وحبهم اياه . وفي مشروع السنوات الخمس ثلاث مدارس جديدة من هذا النوع علاوة على الاربع القائمة حاليا . وجدير بالذكر ان منهج الدراسة في هذه المدارس قد وضع بمشورة رجال المصارف والبيوت التجارية حتى لا تكون المدارس التجارية في معزل عن الجو الذي سيعمل فيه الطلاب بعد تخريجهم .

المدارس المتوسطة الزراعية

أنشئت في هذا العام الدراسي خمس مدارس من هذا النوع وزعت على خمس من المناطق الزراعية بالمملكة وزودت بالاجهزة والادوات والمختبرات . وكان اقبال الطلاب على هذا النوع الجديد من المدارس فوق ما كان ينتظر . فهذه اول نواة في التعليم الزراعي في المملكة ، وهو نوع من التعليم غير مألوف لدى الطلاب ولا أولياء أمورهم .

وقد ألحق بكل مدرسة حقل كبير للتجارب الزراعية حصلت عليه وزارة المعارف بالاتفاق مع وزارة الزراعة .

التعليم الثانوي

أصبحت المرحلة الثانوية الآن في اتجاهات ثلاثة : الثانوية

النظرية ، والثانوية الصناعية ، ومعاهد المعلمين الثانوية . وفي النية استحداث أنواع أخرى من التعليم الثانوي • ولم يكن قبل ذلك غير اتجاه واحد هو التعليم النظري المؤدي الى الجامعة •

أما الآن فقد أصبح في استطاعة الطالب ان يختار من بين الاتجاهات الثلاثة أكثرها ملاءمة لميوله واستعداداته وقدراته •

وكان من نتيجة ذلك أن تحول التيار نسبيا عن التعليم الثانوي النظري الذي كان دائما مقصد الطلاب جميعا ، واتجه الكثيرون منهم صوب الناحية المهنية والفنية •

ادارة التعليم الاهلي

زاد عدد المدارس الاهلية ، وانتشرت في أنحاء المملكة المترامية ، بعضها يعمل في النهار ، وبعضها في المساء مما دعا الوزارة الى انشاء ادارة جديدة للاشراف على هذه المدارس غير الحكومية • وقد وضعت شروط لكل نوع من أنواع المدارس ينبغي توافرها في كل منها قبل أن تسمح الوزارة بفتحها • كما وضعت لوائح مفصلة لتنظيم العمل بتلك المدارس • ويقوم مديرو التعليم والمفتشون بزيارة هذه المدارس للاطمئنان الى سلامة ادارتها ومستواها العلمي وفقا للخطط والمناهج المقررة من الوزارة • وتعان هذه المدارس باعانات مالية أو تمنح بعض المدرسين ، كما

تصرف لطلابها الكتب بالمجان ، شأنهم في ذلك شأن طلاب المدارس الحكومية .

البعثات الخارجية

وما تزال الوزارة تبعث في كل عام عددا كبيرا من الطلاب يدرسون في الخارج في الكليات التي لم تنشأ بعد نظائر لها في جامعة الملك سعود ، كالطب والزراعة والهندسة بفروعها المختلفة .

واقتضت المصلحة انشاء مكتب في اوربا للبعثات السعودية اخيرت مدينة جنيف مقرا له مهمته الاشراف على الطلاب الذين يدرسون في القارة الاوروبية ، ويبلغ عددهم في الوقت الحاضر ٨٢ طالبا يدرسون في سويسرا - ايطاليا - المانيا الغربية - انكلترا - فرنسا - النمسا - تركيا .

وبهذا أصبحت مكاتب البعثات أربعة : في القاهرة (ج.ع.م.) ، وبيروت (لبنان) ، وواشنطن (الولايات المتحدة) ، وجنيف (سويسرا) .

جامعة الملك سعود بالرياض

أتمت الجامعة عامها الرابع وكانت قد بدأت عامها الاول بكلية الآداب ، ثم زادت عليها في العام التالي كلية للعلوم ، ثم كلية

• للتجارة ، واخرى للصيدلة في عامها الثالث •

وستخرج هذا العام أول دفعة من كلية الآداب بدرجة

• ليسانس •

وقد استقدمت الجامعة خلال هذا العام الدراسي نخبة مختارة من أساتذة الجامعات العربية لاعطاء سلسلة من المحاضرات في فرع أو آخر من فروع الدراسة ، وذلك لتحقيق الاتصال الثقافي بين الجامعة وغيرها من الجامعات • كما ابتعثت الجامعة بعض المعيدین لاستكمال دراستهم في الخارج تمهيدا لضمهم الى هيئة التدريس بها بعد حصولهم على درجة الدكتوراه • وبهذه الطريقة يمكن أن يحل الاساتذة الوطنيون تباعا محل الاساتذة غير السعوديين •

وزاد نشاط الجامعة في موسم المحاضرات العامة فالتقت هذا العام ٢٢ محاضرة في شتى أنواع المعرفة ، وهي تطبع وتوزع في الداخل وفي الخارج على الجامعات العربية بالشرق الاوسط ، وعلى دور الكتب العامة والهيئات الرسمية في أقطار العالم العربي والاسلامي •

وعرضت كلية العلوم بأقسامها المختلفة : الطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والنبات والحيوان بعض أوجه نشاطها في يوم أسمته (يوم العلوم) لقي اقبالا شديدا من الرأي العام وطلاب المدارس

الثانوية الذين أظهروا شغفا وميلا لدراسة العلوم .

وقامت أقسام الكلية : الجيولوجيا والنبات والحيوان بعدة رحلات دراسية في أنحاء المملكة الشاسعة ، وجمع الطلاب عينات مختلفة من الصخور والاحياء . كل ذلك تمهيدا لانشاء متحف للتاريخ الطبيعي ومعشبة نباتية في المملكة . كما قام قسم الجغرافيا بكلية الآداب بزيارات متعددة للمناطق المحلية ذات الاهمية الجغرافية . وجمع الطلاب بتوجيه أساتذتهم معلومات قيمة عن تلك المناطق ، كما رسموا لها خرائط تفصيلية .

وقد أقيمت مبان للجامعة جديدة ومعامل جديدة لمواجهة نمو الكليات . كما أقيم مبنى جديد خاص بكلية الصيدلة يجري الآن تأثيثه واعداده لاستقبال الطلاب في أول العام الدراسي المقبل .

وقد استطاعت الجامعة خلال عمرها الصغير ان تكوّن لها مكتبة عامرة بالمراجع وأحدث المؤلفات الانجليزية والعربية صنفت وبوبت على أيدي أخصائيين في شؤون المكتبات تحت اشراف خبير استقدمته الجامعة لهذا الغرض . وقد تم فعلا وضع لائحة تنظم المكتبة العامة والمكتبات الفرعية .

ولم يقتصر النشاط الرياضي على ملاعب الجامعة والمباريات

الداخلية ، بل لقد اشتركت فرق الجامعة هذا العام في عدة مباريات
خارجية •

وجدير بالذكر أن نشير هنا الى ان نظام الجامعة الذي وضع
بعد دراسة شاملة قد صدر به مرسوم ملكي جعل منه دستورا تسيير
الجامعة على نهجه •



بيان بطلبة الجامعة لعامي ١٩٦٠ - ١٩٦١

الكلية	السنة الاولى ١٩٦١/١٩٦٠	السنة الثانية ١٩٦١/١٩٦٠	السنة الثالثة ١٩٦١/١٩٦٠	السنة الرابعة ١٩٦١/١٩٦٠	المجموع ١٩٦١/١٩٦٠			
الاداب منتظمون	٣٧	٥٥	٣٠	٢٩	١٥	٢٩	٨٢	١٢٨
= منتسبون	١٢	٥٣	—	٩	=	=	١٢	٦٢
التجارة منتظمون	٥٨	٨٥	—	٤٧	—	—	٥٨	١٣٢
= منتسبون	٢٢	١٢١	—	١٧	—	—	٢٢	١٣٨
العلوم	١٠	٢٨	١٠	٦	—	١٠	٢٠	٤٤
الصيدلة اعدادي	١٩	٢٢	—	١٧	—	—	١٩	٣٩

بيان هيئة التدريس بالجامعة

الكلية	استاذ ١٩٦١ ١٩٦٠	استاذ مساعد ١٩٦١ ١٩٦٠	مدرس ١٩٦١ ١٩٦٠	معيد ١٩٦١ ١٩٦٠
الاداب	٣	٤	٢	٣
العلوم	٥	٦	١	١
الصيدلة	١	٢	٠	١
التجارة	٠	١	١	١

ويعمل في كلية التجارة سبعة اساتذة منتدبين من الخارج بعض الوقت .

وجدير بالذكر ان المملكة العربية السعودية قد أصبحت منذ

هذا العام عضوا في مكتب التربية الدولي ، وهي تود أن تؤكد

تقديرها العميق للروح السامية التي قابلت بها الدول الاعضاء

انضمام المملكة الى هذه المؤسسة العتيدة .

وزارة المعارف السعودية ستحرص كما حرصت دائما على
العمل بتوصيات المؤتمرات التي ينظمها كل عام مكتب التربية
الدولي مع اليونسكو ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

كما انها ستبذل أقصى الجهود للاسهام في رفع النهضة
التربوية نحو تحقيق التقارب الفكري والتفاهم الانساني والتعارف
بين شعوب البشر ، تلك الاهداف التي بدونها لا يستتب في العالم
سلام .

انتهى ما ورد من التقرير المذكور .

وثمة معاهد لم تذكر بهذا التقرير لانها ليست تابعة للمعارف
وانما هي تابعة للمفتي الاكبر الشيخ محمد بن ابراهيم ، وهي
مقصورة على علوم الكتاب والسنة واللغة العربية والفقهاء على مذهب
الامام أحمد . والمتخرجون من هذه المعاهد يكونون قضاة . وقد
انشئت هذه المعاهد بعد فترة التطور وذلك في عام ١٩٥٤ وعددها
عشرة موزعة على المدن الآتية : الرياض - المدينة - الاحساء -
بريدة - عنيزة - حائل - المجعة - شقرا - ابها - سامطة .
وذلك بالاضافة الى الجامعة الاسلامية التي اُنشئت في المدينة
المنورة في هذا العام الحالي .

وقد فاتي الاشارة الى المدارس العسكرية حيث يوجد كلية
عسكرية في الرياض ، وهذه الكلية انشئت بعد فترة التطور
طبعاً ، ولها فروع في بلدة عنيزة وبريدة والرس الخ ••

هذا وقد سبق أن ذكرت بأنه لا يوجد في البلاد أية مدرسة
على النهج الحديث حتى ولا ابتدائية وخاصة في المنطقة الشرقية
والشمالية • اما المنطقة الغربية أي مكة المكرمة وجدة والمدينة
المنورة فانه يوجد فيها مدرسة الفلاح ، وهي مؤسسة من قبل
العهد السعودي ، ويعود الفضل لمؤسسها المواطن الكريم محمد علي
زينل • وفي بداية هذه الفترة فتحت أبواب المدارس على مصراعها
كما هو مشاهد من تقرير المعارف ، وراح الطلاب يدخلونها أفواجا،
وأصبح المتزمت بالامس الذي يرفض أن يدخل ابنه بالمدارس
الحديثة معتقدا انه لن يتعلم غير علوم تخل بالدين ، هذا المتزمت
أصبح اليوم يدرك ويعي بأن لاضمانة لمستقبل ابنه الا بقدر
ما يرتشف من مناهل العلم • وما دام ان تفكير المتزمت بالامس
قد تبدل بهذه السرعة فما بالك بمن سبقه بالوعي • والحقيقة أن
الحكومة ساعدت على فتح المدارس وشجعت على التعليم حتى ان
الذي يدرس في الصفوف الثانوية يمنح راتبا • والتعليم على شتى
مراحله مجاني كله •

وقد كان شرقي الجزيرة وشمالها خلوا من صحيفة واحدة •
اما الآن فانه يوجد ثلاث صحف اسبوعية كما يوجد صحيفة
شهرية •

وكان القارئ لا يجد مكتبة مختصة بجلب الكتب ، أما الآن
فيوجد مكاتب عديدة في كل مدينة من مدن المملكة • ويوشك
أن لا يطبع كتاب ذو أهمية علمية في الخارج حتى تجده مكاتب
البلاد • أما الادباء ، من كتاب وشعراء ، الذين برزوا في خلال
هذه الفترة بالذات ، فان عددهم بالنسبة للمدة الوجيزة المحدود
زمانها الذي لا يتجاوز أكثر من عشر سنوات بالنسبة لذلك ، فانهم
يعتبرون طليعة مباركة لا يستهان بنوعهم وتفوقهم الادبي • وعندما
يعود القارئ الى ما ذكرته في الصحيفة السابقة من هذا السفر
يجد اني أكدت بأنه لا يوجد في البلاد صحيفة واحدة كما أكدت
بأنه حتى ولو قدر المستحيل ووجد شيء من الصحف فانه لا يوجد
كاتب واحد يستطيع أن يكتب في حقلها جملة واحدة •

وكذلك المطابع فقد كانت مفقودة • ولكنها بعد هذه الفترة
بلغت اثنتي عشرة مطبعة ، وهي كما يلي : مطابع الرياض ، مطابع
الجزيرة ، المطابع الوطنية ، مطبعة النهضة ، مطبعة الشرق ، مطابع

دار القصيم ، المطبعة الاهلية ، كل هذه المطابع موجودة في الرياض .
أما التي في الخبر والدمام فهي كالاتي : مطابع وزنكوغراف المنطقة
الشرقية ، مطبعة الخليج العربي ، المطبعة السعودية ، شركة الخط
للطباعة ، المطابع الحديثة .

هذا وانني لم أتعرض لذكر المطابع التي في المنطقة الغربية ،
كمكة وجدة والمدينة ، وذلك لان المطابع كانت موجودة فيها منذ
التقديم بخلاف الجانب الشرقي والشمالي اللذين لم يكن فيهما فيما
مضى شيء من المطابع .



المواصلات

لم يكن في الفترتين الاولى ولا الثانية أي طريق معبد ، لافي داخل المدينة كالرياض التي تعتبر العاصمة ، ولا خارجها طبعاً ، كما انه لم يكن ثمة ما يسمى بالسكة الحديدية .

ومنذ بداية هذه الفترة بدأ العمل بمد خط سكة الحديد الكائنة بين الرياض والدمام ولكن لم تستعمل الا بعد فترة التطور ، وقد أصبح الآن عدد الطرق المعبدة كالآتي :

طريق جدة مكة - وقد كان هذا الطريق معبداً قبل فترة التطور بمدة لا تزيد عن خمس سنوات ، وبعد هذه الفترة ادخلت عليه جملة تحسينات ، وأضيف اليه طريق مزدوج . وقد كانت الاصطدامات كثيرة خاصة في موسم الحج . ولكنه بعد ما أصبح هناك طريقان للذهاب والاياب زال خطر الاصطدام . ومن الطرق

التي أحدثت في فترة التطور الطريق الكائن بين جدة والمدينة ،
وكذلك الطريق الكائن بين مكة والطائف ، والطريق الممتد بين
المدينة وتبوك ، وطريق الرياض الدوامي ، هذه الطرق كلها على
وشك النهاية •

وأما الرياض وضواحيها فكل طرقها معبدة ، وتأتي بعد ذلك
الطرق التي تحت التنفيذ ، وهي الطريق الكائنة من الرياض إلى
القصيم مارا بأقليم سدير والمحمل ، وطريق من بريده إلى خف ،
وطريق من الدوامي إلى الطائف ، ومن مكة إلى وادي فاطمة إلى
القطيفة شمالا ، ومن القطيف إلى الجبيل • وقد فاتني الإشارة
إلى الطريق المعبد المنتهي الكائن من الدمام إلى القطيف •

أما الموانئ فلم يكن منها أي ميناء قبل فترة التطور • أما الآن
فتوجد ميناء الدمام المنتهية في عام ١٩٥٠ والثانية المسماة ميناء
الدمام الكبير المنتهي عام ١٩٦١ وميناء جدة ، ويحتمل توسعة
ميناء جدة • وأما ما هو تحت التنفيذ من الموانئ : فميناء جيزان ،
ميناء ينبع • ومعلوم بأنه لا يوجد قبل هذه الفترة أي مطار ، والآن
يوجد المطارات الحديثة الآتية : مطار الرياض ، مطار جدة ، مطار
المدينة ، مطار الطائف ، مطار تبوك ، مطار الظهران • وثمة
مطارات تحت التنفيذ •

كما أن الطائرات كانت مفقودة في المملكة • أما الآن فإن
الطائرات متيسرة بكثرة ، ومن الطائرات أربع محركات الى النفاثة •
كما ان الاتصال بين مدن المملكة الذي كان في الفترة الاولى بالجمال
ثم أصبح بالفترة الثانية بالسيارات فقد أصبح الآن بالطائرة النفاثة •
وكذلك التلفون اللاسلكي أصبح الآن مرتبطا في الكثير من مدن
المملكة •



التطور في نظام الحكم

منذ أول هذه الفترة بدأ شيء من التطور في أسلوب الحكم . وبالطبع لم يكن فيما سبق شيء اسمه مجلس وزراء ولا وزارات متعددة ، وجل ما هنالك هو وجود وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووزارتي الصحة والداخلية ووزارة المالية والاقتصاد . وكان الشيخ عبد الله بن سليمان ، كما ذكرت سابقا يضطلع بمهمة شبه مهمة رئيس الوزراء من حيث الواقع العملي . ثم انشئ بعد ذلك في آخر حياة الملك الراحل خمس وزارات : وهي الصحة والمعارف والزراعة والمواصلات والتجارة . كما انه بعد وفاة الملك أصبح هناك مجلس وزراء برئاسة ولي العهد الامير فيصل بن عبد العزيز .

وفي عام ١٣٨٠ الموافق ١٩٦١ شكلت وزارة من جديد برئاسة الملك سعود ، وأضيف اليها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية

• وزارة البترول

وفي عام ١٣٨١ الموافق ١٩٦٢ حصل تعديل وزارى تم فيه أن يكون الامير فيصل ولي العهد نائبا لرئيس مجلس الوزراء بغياب الملك وبحضوره ، كما أضيف الى الوزارة السابقة وزارة الحج والاقواف، وقد كان الحج فيما سبق مديرية، كما أن الاوقاف في المملكة كانت متشعبة ، أما الآن فقد وُحِدَت الاوقاف جميعها وأصبحت مبروطة بوزارة الحج •

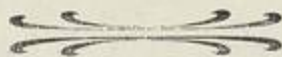
والجدير بالملاحظة هو أنه لأول مرة في تاريخ المملكة يدخل في الحكم ستة وزراء من غير الاسرة المالكة ، وبينهم من لا ينتمي الى أية أسرة من الاسر الارستقراطية ، بل يوشك أن يكون كلهم أو أكثرهم من الطبقة الوسطى •

ولئن دل ذلك على شيء فانما يدل على تطور الفكر ، ولولا نمو اليقظة الشعبية وتطور الوعي القومي ، لولا ذلك لما كان أحد يتصور أن بعضا من الوزراء الشعبيين كان من موظفي الدرجة الثالثة في عام ١٩٥٩ فأصبح وزيرا في عام ١٩٦٢

ولمعترض أن يقول : ألم يكن الشيخ عبد الله بن سليمان وزيرا للمالية والاقتصاد ، وكان يتمتع بسلطة لا كسلطة رئيس الوزراء ، بل كسلطة الملك ؟ ألم يكن هذا من أفراد الشعب ومن الطبقة

البورجوازية أو ما دون ؟ •• والجواب هو ان الظرف الذي جاء
بابن سليمان يختلف اختلافا كبيرا عن الظرف الذي جاء به اولئك
الوزراء ، فابن سليمان جاء للمالية في بداية نشوء الدولة ونموها ،
فظل ينمو بمركزه ووظيفته مع نمو الدولة جنبا لجنب ، وعندما
نمت مالية الدولة على يده كان الأمر طبيعيا أن تنمو شخصيته
ووظيفته مع نمو مالية الدولة • هذه ناحية والناحية الثانية ذات
الاهمية هي انه في الحين الذي كان ابن سليمان وزيرا للمال كان
أغلب ابناء الملك الذين تولوا الوزارات وتنافسوا عليها ، كانوا في
عهد ابن سليمان صغارا ، ولم يكن من بينهم من يطمح للوزارة •

أما في الظرف الذي تولى فيه الوزراء السنة فقد كانت الوزارات
شبه محدودة اذ لم تكن وفقا على الامراء فقط • ومن هنا يبدو
واضحا البون الشاسع بين الظرف الذي كان به ابن سليمان وزيرا
للمال وبين الظرف الذي جاء به الوزراء الشعبيون • وما يقال
عن الظرف الذي جاء به الشيخ ابن سليمان يقال أيضا عن الظرف
الذي جاء به الشيخ محمد سرور الصبان كوزير للمالية والاقتصاد ،
فان اختلف ظرف الاول من حيث الزمان فانه لا يختلف ظرف الاخير
من حيث التشابه والواقع •



الصناعة

كنت ولم أزل أود أن يكون الصدق رائدي في كتابتي هذه ،
وأن أقل الحقيقة للقارئ كما هي ، مجردة عن كل غاية ، وبعيدة
عن الهوى والزيف ، لذلك أقول بأن الوضع الصناعي في البلاد
لم يطرأ عليه شيء من التطور كما هو الحال في الأشياء الأخرى
التي سلف ذكرها ، وذلك لأسباب عديدة منها : ان الانتاج الصناعي
الحديث لا يأتي الا بعد الدراسة العالية ، وعندما يتخرج جيل من
حملة الشهادات العالية ، ويتخصصون بدراسة مختلف فنون
الصناعة كمهندسين • وبعد ذلك يمكن أن يتولى المتخرجون ادارة
المصانع وتوجيه الجيل توجيهها فنيا ، وما دام عمر المدارس منذ
نشأتها حتى الآن لم يبلغ القدر الكافي لاجراج جيل لهذه الغاية
فانه من البدهي أن لاتقوم المصانع الا على سواعد أبناء البلاد •
وكأني بمعترض يقول : ولم لاتقوم الحكومة بتأسيس المصانع

وجلب مهندسين من الخارج؟ .. ولماذا لا يقوم المواطنون بتأسيس شركات صناعية تنتج ما تحتاج اليه البلاد كتأسيس معمل للنسيج ومثله للزجاج الخ .. من المعامل التي لا تستغني البلاد عن استهلاكها؟ ..

ولا شك بأن هذا الاعتراض وجيه ، ولا بد من الاجابة عليه ، ولما كان الاعتراض يتضمن ناحيتين ، أو سؤالين : الاول هو ما ينبغي أن تقوم به الحكومة بتأسيس المصانع ، والثاني ما ينبغي أن يقوم به المواطنون . لما كان السؤال ذا شقين فانه ليطيب لي بأن أوكد بأنني سوف أجيب على السؤال الاول فيما بعد ببحث مفصل مستقل في نهاية هذا الكتاب لان الاجابة على ذلك تحتاج الى وضوح واقناع . ولهذا سوف يكون الجواب مؤجلا . واما الجواب على الاعتراض الثاني بشأن قيام المواطنين بتأسيس الشركات الصناعية ، هذه الناحية يؤسفني أن أجيب عليها بأن بعض المواطنين حتى الآن لم يعرف بعد ما تؤول اليه الاعمال الحديثة المشتركة من مصلحة عامة . والسبب الذي يؤسفني ذكره أيضا هو ان أغلبية الذين بيدهم رؤوس الاموال من المواطنين أميون ، فماذا ينبغي مثلا من ثري يملك مئات الملايين من الريالات وهو لا يعرف كتابة اسمه ؟ وماذا تريد من ثري يملك ادارة بنك كبير وهو الآخر لا يعرف من القراءة

والكتابة أكثر مما يعرفه سلفه السابق؟ وما دام ان هناك من أصحاب رؤوس الاموال من هم على هذه الصفة أو ما يقرب منها فانهم مهما توفر لديهم من صفاء النية وحسن القصد ونبوغ الفكر الذي خولهم كسب هذا المال كما يقال .. مهما يكن لديهم من ذلك فانه ليس من السهولة بمكان أن يكون لديهم من نمو الوعي وسمو التفكير ما يجعل أحدهم يستطيع أن يفهم ما يفهمه المتعلم الفاهم للتطور الحديث ، وما يستوجب مسابقة الحضارة بكل معنى من معاني التقدم والرقي •

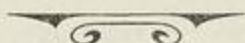
هذا ولا بد من أن أشير الى شيء نسبي من المصانع ، فقد انشئ مصنع للاسمنت في جدة ، وآخر في المنطقة الشرقية ، وثالث في الرياض • فالاول بدأ ينتج منذ عام ١٩٥٨ وكذلك الثاني بدأ ينتج في هذه الايام ، والاخير على وشك أن يبرز الى حيّز الوجود كما انشئ مصنع للذخيرة في الخرج •



التطور في السلك الخارجي

من المعلوم انه قبل فترة التطور لم يكن هناك أية سفارة خاصة
في البلاد العربية ، وكل ما يوجد من التمثيل السياسي كان بدرجة
مفوضية ، ومجموعها كان لا يتجاوز خمس عشرة ممثلية ، أما الآن
فقد بلغ عدد الممثلات ما يزيد على الثلاثين ، وكلها بدرجة سفارة ،
ما عدا نسبة محدودة بدرجة مفوضية ، كما انه لم يكن هنالك
رئيس بعثة من أبناء البلاد برتبة سفير في بداية الفترة الاولى ،
ما عدا أربعة اشخاص فقط ، واما الآن فان رؤساء البعثات كلهم من
أبناء الجزيرة ، وان يكن هناك أحد فانه من اخواننا أبناء البلاد
العربية المجاورة الذين جاءوا للجزيرة منذ بداية تأسيس الدولة ،
وأصبح لهم من الواجبات بحكم خدماتهم القديمة كما كان لابن
البلاد ، وقد كان نظام وزارة الخارجية لا يمنع من قبول أي عربي

من اخواننا أبناء البلاد العربية ، بحكم عدم وجود المتعلمين من
أبناء البلاد . أما الآن فقد صدر في نظام وزارة الخارجية لعام
١٣٧٤ الموافق ١٩٥٤ ما يشير الى عدم انضمام أي كان للسلك
الخارجي ما لم يكن من أبناء البلاد ، كما انه كان مقبولا أي مواطن
يحسن الكتابة والقراءة في السلك الخارجي . وبعد صدور النظام
المشار اليه أصبح لايقبل دخول أي كان في السلك السياسي ،
مالم يكن من حملة الشهادات العالية .



الناحية التجارية

كنت أشرت بأنه لم يكن فيما سبق أي بنك من البنوك والمصارف .. ولكن الآن أصبح في البلاد بنك كبير كما أصبح فيها عدة مصارف يتولى القيام بها موظفون من قبل آل الراشد، وهم ابراهيم الراشد الحميد واخوانه .. هؤلاء لهم في كل بلدة من مدن المملكة فرع ، وهذه الاشياء التي أشير اليها موجودة في الناحية الشرقية والشمالية التي سبق ان نوهت عنها . أما الجانب الغربي من المملكة فانه لا يخلو في الاصل من المصارف والبنوك .

وقد أشرت سابقا بأن تجار المملكة كانوا يتاجرون بالابل ليذهبوا بها الى سورية ومصر والسودان . والجدير بالملاحظة هنا هو أن الامر اقلب رأسا على عقب حيث أصبح اولئك التجار الذين يذهبون بالابل والغنم من المملكة الى الخارج ، أصبح هؤلاء

أنفسهم يشترون الابل والغنم من بادية سورية والعراق ويجلبونها
الى المستهلكين في المملكة ، كما أصبح لتجار البلاد اتصال بالعالم
الخارجي لا العربي فقط ، بل حتى في أوروبا وامريكا ، وحتى في
الاتحاد السوفياتي حيث استورد بعض منهم سيارات من الكتلة
الشرقية . كما أنه تبدل الوضع عما كان عليه من قبل من حيث
رأس المال الذي كان يأخذه التاجر ابن الجزيرة من أثرياء الخارج ،
فأصبح التاجر الآن من أبناء المملكة هو الذي يقدم ماله لتاجر من
البلاد الاخرى ليعمل الثاني على سبيل المضاربة ، أي ان الاول
يقدم المال ويقوم الثاني بالعمل ، والكسب بينهما مشترك .



ثمة تكافل اجتماعي

الواقع ان الدوافع الى الاعمال الانسانية والاجتماعية ليست مفقودة في نفوس ساكني الجزيرة • بل ان الدوافع كثيرة وافرة ولكن على شكل فردي ، لا على النهج الاجتماعي الحديث • وأعود هنا مكررا ما قلته في الفصل السابق عن أحد الاسباب في تأخر الصناعة ، وما أشرت اليه بأن السبب هو وجود رأس المال بيد الأميين وأشباه الأميين ، واني أؤكد هنا كذلك بأن الاسباب التي أشرت شيوع التكافل الاجتماعي بين المواطنين هي نفس الاسباب التي ألمعت اليها من عدم نمو المؤسسات الصناعية في الوطن •

ولما كان المال كما يقال هو عصب الحياة بل روحها •• فكيف والحالة هذه يرجى أن يكون ثمة تكافل اجتماعي على الوجه

المطلوب وسط مجتمع يكون أثرى ثري فيه أميا ، لا يفقه شيئا عن الاعمال الاجتماعية الا بقدر ما يقوم به من صدقات فردية مبعثرة تضر بالمواطنين ، وتجرح شعورهم ، وتهدر كرامتهم أكثر بكثير مما تفيدهم ؟ فهذا المواطن الذي يملك من ملايين الريالات ما لا حصر له ، والذي ينفق كما يقال أكثر من ثلاثة ملايين على الفقراء والمساكين في شهر رمضان ، ترى لو كان لهذا المحسن قدر من العلم يجعله يعرف شيئا عن ثمره الاعمال الاجتماعية الخالدة ألم يكن بإمكانه أن يبني مؤسسات اجتماعية على النمط الحديث؟ ولكن انى للأمي الجاهل أن يعرف شيئا من أعمال التضامن الاجتماعي غير ما يقوم به من أعمال فردية انغزالية مضرتها للمجتمع أعظم من فائدتها ؟ والحقيقة ان المال اذا كان بيد جاهل فانه أشبه ما يكون بالسيف بيد أعمى مجنون ، عينا بعين ، لا فرق بين هذا وذلك . فبقدر ما نرى أن المجنون وهو مفقود البصر اذا ملك السلاح أضر بالمجتمع ، وقتك بالمواطنين ، بقدر ما يضر الثري الجاهل بماله المجتمع ، ويسيء اليه من حيث يدري أو لا يدري، سواء بما يسمى صدقات وهبات أو هدايا الخ . .

ولقد كتبت في هذا المعنى المقالات الضافية في صحف المملكة، وأكدت بأن ما ينفق في سبيل الصدقات المبعثرة يضر المجتمع

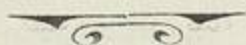
ويسيء الى المواطنين أكثر بكثير مما يفيدهم • وقد أوضحت وجهة نظري هذه بكتيب جمعت فيه المقالات التي كتبتها بهذا الشأن • وكان من رأيي أن تجمع مثل تلك النفقات الفردية المبعثرة التي يقوم بها بعض الاثرياء وغيرهم ، وتوحد جميعها وتضاف اليها الاموال التي تنفق أحيانا من جانب الحكومة بصورة مماثلة لما ينفقه اولئك الاثرياء ، ومن ثم تجمع كلها ويتولى ادارتها نفر ذوو اختصاص بالاعمال الاجتماعية يوكل اليهم القيام بتأسيس المؤسسات الاجتماعية على شكل المؤسسات الحديثة •

وما دام قد انشئت حديثا وزارة للعمل والشؤون الاجتماعية فاني لشديد التفاؤل بأن هذه الصدقات الفردية والهبات الشعبية منها والحكومية المبعثرة ، اذا ما جمعت ووحدت فانها سوف تشكل مبلغا من المال حريا بأن يفيد المواطنين ببناء مؤسسات لايواء الايتام والعجزة والارامل من أبناء هذا الوطن العزيز ، وخاصة من حكمت عليهم ظروفهم القاسية بالبؤس والحرمان، فأصبحوا بحاجة الى من يجمع شملهم ، ويكفل لهم حياة هنيئة سعيدة بصورة مستمرة باقية ، بدلا من أن يقدم لهم بعض القروش التي لاتسمن ولا تغني من جوع •

والذي يسرني أن أشير اليه هو انه بعد فترة التطور ،

سمحت الحكومة بتأسيس دور للإيتام ، فانتشرت في أمهات مدن المملكة كما (١) عنيت الحكومة بالبحث الاجتماعي والخدمة الاجتماعية في المدن والقرى والبادية ، وتتعاون في هذا وزارات المعارف والزراعة والصحة وانشئت لذلك ادارة جديدة ألحقت في الوقت الحاضر بوزارة المعارف تمهيدا لجعلها ادارة مستقلة في المستقبل .

وانشئ هذا العام أول مركز قروي للتنمية الاجتماعية يخدم سكان القرية التي انشئ فيها في النواحي الصحية والاقتصادية والثقافية ويبلغ عدد سكان القرية ستة آلاف .



(١) هذه الفقرة نقلتها عن التقرير الموجز عن تطور التعليم العام لوزارة المعارف لعام ١٩٦٠ - ١٩٦١ ص ١٩ .

الطابع البارز على شعور المجتمع في فترة التطور

تحدثت في الفصل السابق عن الطابع البارز على مجيا جيل ذلك المجتمع في أول القرن العشرين ، وربما حتى آخر الثلث أو النصف الاول منه . لقد ذكرت بأن الطابع بالدرجة الاولى كان الشجاعة وقوة الساعد واکرام الضيف الى آخر ما هنالك من العادات العربية الاصيلة ، ولست بحاجة الى ان أوكد بأن تلك الشيم من المثل العربية راسخة بدم العربي ولحمه ، ولا يستطيع أن يتجرد عنها بكل سهولة ، ولكن علينا أيضا أن لانجهل ما للتطور الزمني من تأثير على أخلاق وعادات الجيل ، وتلك ظاهرة محسوسة، ولئن اختلف علماء النفس في هذا العصر في أي العاملين أقوى تأثيرا على سلوك المرء وأخلاقه ، أهى الوراثة ؟ أم المجتمع والزمان؟

ولئن قال بعضهم بالاولى مستدلا على نظريته بأدلة يطول شرحها
وقال غيرهم بالثانية مستشهدا أيضا بأدلة قوية . . أقول لئن اختلف
رأي الفلاسفة في هذا العصر ، أي الناحيتين أعظم مفعولا على
خلق المرء وسلوكه ، فإن الكلمة التي قالها أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن ، سوف تكون هي الحكم
الفاصل بين أصحاب النظريتين حيث قال : « الناس بزمانهم أشبه به
من آبائهم » ، والعجيب في الامر هو ان عمرا رضي الله عنه لم يقل
أشبه به من أجدادهم بل قال أشبه به من آبائهم ، اذن يكون تفكير
من بلغ سن الرشد من أبناء الجزيرة في النصف من القرن العشرين
يختلف اختلافا جذريا عن تفكير والده . فاذا كان الأب يحمل تفكير
جيل الجمل فسيحمل الابن تفكير جيل الصاروخ ، والذي لمستة
وشاهدته هو ان ثمة تطورا فكريا عظيما ، لا بالنسبة لجيل ما بعد
نصف القرن العشرين فقط ، بل لمن هم قبل ذلك بسنين . فمثلا كان
التفكير السائد يقضي بأن شجاعة الساعد هي الميزة الحسنة التي
يتصف بها الابطال ، اما الآن فقد أصبحت شجاعة العقل ورباطة
الجأش وهدوء الاعصاب هي التي يحترم صاحبها وينظر اليه نظرة
اجلال واعجاب .

وقد كان تفكير الجيل السابق تفكيرا قليلا محضا ، أي لا يفكر

ولا يهتم ولا يفخر الا بالمجد المحصور على قبيلته ان كان بدويا أو
على بلده ان كان حضريا •

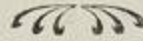
أما اليوم فقد أصبح تفكير الجيل أبعد مدى من أن يكون
محصورا على هذا النطاق القبلي الجاهلي الارعن ، فبفضل هذا
التطور الفكري بات لدى الجيل من النضج العقلي المحسوس
• يجعله ينظر لامته العربية كوحدة لا تتجزأ من المحيط الاطلسي
الى الخليج العربي • وبقدر ما كان يفخر بمجد قبيلته اذا كتب لها
الفوز والنصر على قبيلة أخرى ، وعلى عكس ذلك يتألم اذا هزمت
قبيلته في غزوة ما ، أصبح الآن يرقص طربا عندما يسمع بغارة
انتصر بها أبناء عمه الجزائريون على الطغاة المغتصبين الفرنسيين ، كما
أصبح لا يهدأ له بال ولا تنام له عين اذا سمع بمصرع أحد من
شهداء اخوانه الجزائريين على يد الغزاة السفاكين • وبقدر ما كان
تفكير ابن الجزيرة محصورا على ان تكون قبيلته هي سيدة الموقف
على القبائل الاخرى ، وبقدر ما كان يحرص على أن لا تدب التفرقة
في رجال قبيلته ، أصبح الآن لا يفكر الا بالوسائل والاعمال التي
تتحد بها أمته ، ولا يداعب فكره ، ويدغدغ خياله ويعزي نفسه
الا ما يرجوه من آمال يبني عليها سعادته واطمئنانه وهي اللحظة
التي يرى فيها أمته العربية متحدة ، بأي شكل من أشكال الوحدة

أو الاتحاد ، وتلك هي أقصى آمال أي مخلص من أبناء الجزيرة ،
وأسمى ما يصل اليه تفكيره من أمنية سعيدة هنيئة . وبقدر ما كان
ابن الجزيرة يؤمن بأن ابن سيد العشيرة يجب أن يرث هذه السيادة
حتى ولو لم يرث من مقومات سيادة آباءه وأجداده ما يؤهله لقيادة
القبيلة وسيادتها ، وبعدما كان هذا التفكير الموروث متأصلا في
نفوس جيل الجمل ، بقدر ما تطور فكر الجيل الراهن الذي أصبح
يرى بأن السيادة والزعامة والمجد ، كل هذه المعاني أصبح يرى
انها تصنع ولا تورث ، وتكسب ولا توهب ، وان ليس للمرء من
المجد الا ما صنعه هو بيده ، لا ما ورثه من آباءه . وهو منطبق
ينسجم والتعاليم الاسلامية كل الانسجام حيث يقول القرآن
الشريف « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى » .
وكما كان التفكير الطاغى على شعور الجيل السابق هو أن من ترك
لآبائه سلطة أو مالا ، فانه يمكن أن يسود في مجتمعه أو يبرز
على الاقل بقدر ما ناله من هذا التراث بصرف النظر عن كون
الوارث متعلما أو جاهلا . أما الآن فقد بلغ التطور الفكري حدا
جعل هذه الاشياء لا أهمية لها ، وانما الأهمية كلها للعلم والكفاءة
والاستقامة والجد والاجتهاد . وكذلك كان سيد القبيلة اذا وهب
فردا من أفراد القبيلة شيئا يعتبر الموهوب ان هذه الهبة صدقة من
سيد قبيلته وحسنة منه ، هكذا كان التفكير الاول ، اما الآن فقد

أصبح التفكير يتنافى كل المناقاة والمنطق الاول ، فقد أصبح تفكير
المواطن يرى انه أكبر من أن يحسن اليه مواطن مثله ، وأصبح يعتقد
اذ، ما كان يسمى عند الجيل الاسبق صدقة وحسنة ، فانما هو حق
واجب من حقوقه كمواطن لافرق بينه وبين سيد القبيلة بالواجبات
الوطنية ، بل أصبح كل مواطن يرى أنه عضو عامل في المجتمع ،
وأمة قائمة بحد ذاتها •

وعلى أي شكل كان فان التطور الفكري في الجزيرة تغير
تغيراً جذرياً فوق ما يتصوره البعيد عنه ، وكما أشرت ، فعلى قدر
ما كان تفكير المواطن محدوداً على قبيلته أو بلدته ، فقد أصبح
تفكيره أفسح وأشمل نحو أمته العربية بكاملها ، من أقصى المغرب
العربي ، الى أقصى المشرق العربي •

وبقدر ما كانت الكلمة الاولى والاخيرة للعادات القبلية
الموروثة - أصبح السباق الاول للعلم ولا شيء غير العلم •



الحياة الديموقراطية

لقد ترددت كثيرا في الحديث عن الديموقراطية ، تلك الفتاة
الحسنة الرشيقة التي كل يدعي وصلها ، وكل يتغنى بگرامها ،
وكل يزعم أنها معشوقته الوحيدة ، وانها لا تشرك بگرامها له أحدا
سواه •

ولست أعلم أهل عاشقوها يفترون عليها ، ويدعي كل عاشق لها
بأن غرامها وقف عليه لا يشاركه بها شريك ولا ينافسه منافس ؟ أم
أن مصدر الاقتراء هذا منبثق من جمالها الرائع وقوامها الفاتن
وعذوبة حديثها الجذاب الماكر الذي أسر لب كل عاشق من عشاقها
حتى ظن وهما كل من ابتلى بگرامها أنه هو وحده الذي سلمته
مقاودها ، وأخلصت له بگرامها ومنحته ولاءها ؟

كانت هذه الاشياء الحيوية هي مصدر حيرتي بالتردد في

الكتابة عن الديمقراطية ، تلك العيطلول الفاتنة التي كثر عشاقها المتنافسون عليها بهذا العصر ، والعاشق دائما يكون غيورا ، لا يجب أن يذكر أحد ولو على سبيل الاشارة ، بأن معشوقته تميل بفرامها لعاشق آخر ، حتى ولو كان هذا العاشق ، شقيقه أو ابنه ، وزادني ترددا وحيرة عندما أدركت بأن كل عاشقها أو أكثرهم ينقصهم اعلان الصراحة بمواجهتهم لمعشوقتهم بالحقيقة ، والصدق البريء من كل زيف وتضليل ، وربما كان لعاشقها من العذر ما يبرر عدم مصارحتهم لها بالحقيقة ، فهم يدركون جميعا بأن المعشوقة أو المحبوبة أو كليهما ، سواء كانت شرعية أو غير شرعية ، بأنها لاتوهب ولا تباع ، ولذلك نجد المغمزين بها مضطرين أن يخادعوا أنفسهم بعدم مواجهتهم لعشيقتهم بالحقيقة وجها لوجه ، كما أنهم في نفس الوقت لا يريد أحد منهم أن يتحدث عنها الا بقدر ما يكون هذا المتحدث لديه من الفطنة والحذر ما يجعله يحاسب نفسه حسابا دقيقا بأن لا يفيظ بحديثه شعور أي عاشق من عاشقها الفتيان الاشداء الذين يملك كل واحد منهم من القدرة ما يجعله يقضي على حياة هذا المتحدث بدون أن يخشى أدنى عقاب .

تلك قضية الديمقراطية ، أو الحرية ، لافي الجزيرة فحسب ، بل في جميع العالم البشري بشكل عام وفي العالم العربي بصورة خاصة .

ورغم ترددي واحجامي فاني مضطر بأن أتحدث عن الديموقراطية،
والسبب هو أنني وضعت لها زاوية في الفترة الاولى ، فأصبحت
مرغما بأن أضع مقابلها زاوية مماثلة في فترة التطور وفقا للاسلوب
الذي سرت عليه في كتابتي هذه •

ولكن المشكلة التي سوف أصطدم بها عندما أقدم على الكتابة
بهذا الشأن هي مشكلة مزدوجة ، وفيها جانب من الصراحة الشيء
الذي لا يطمئن لاستماعه الا من ألفت نفسه قبول الحق ، مهما كان
مصدره ومهما كان نوعه •

كما ان فيها جانبا آخر من الصدق والواقع ، الشيء الذي
يخيل لمن لم ير ولم يسمع الا اطراء المنافيين وثناء المادحين من
بعض الكتاب الذين امتهنوا هذه الحرفة الممقوتة والبضاعة
الخاسرة ، قد يخيل لهذا الآخر أو يظن وهما بأن ما سوف أذكره
من الواقع والحقيقة والصدق انما هو من قبيل التزلف والنفاق •
وهنا وقعت مرة أخرى حائرا مترددا بين ذكر الشيء الذي
لا يطمئن لسماعه الا من ألفت قول الحق ورضي به مهما كان قاسيا
وبين من لم يطرق اذنيه ولم تر عيناه - الا تزلف المنافيين وتزوير
المدلسين •

وأخيرا ذكرت حكمة خالدة لاحد فلاسفة العرب والاسلام ،

وهو الشيخ شمس الدين محمد بن قيم الجوزية عندما قال :
(العمل من أجل الناس شرك ، وترك العمل من أجل الناس رياء) •
ومعلوم ان الرياء هو الشرك الخفي •

لقد دفعنتني هذه الحكمة الى الامام ، وزادتي شجاعة بأن أقول
ما أعتقد أنه صواب • فان أصبت بكتابتني التي أعاهد ضميري
والتاريخ على ألا أكتب الا ما أعتقده حقيقة لا مرأء فيها ، فهذا
ما تصبو اليه نفسي ، وان أخطأت باعتقادي هذا ، فلا يلام المرء
بعد الاجتهاد •

* * *

لقد سبق ان ذكرت بأن العربي ديموقراطي بسجيته وفطرته
التي فطره الله عليها • ولا عجب في ذلك فهو ابن الصحراء النقية
بهوائها ، الفسيحة بأرجائها ، لا يقفل عليه باب ، ولا تطوقه أسوار
مدينة ، يرحل عن جار السوء متى شاء أن يرحل ، وينزل في أي
أرض أراد أن ينزل بها ، بدون أن يستأذن أية سلطة ، فهو دائما
حر طليق كالطير يفرود ويصدح فوق أي غصن يريد ويقطف ثمرة
أية شجرة يهوى •

هذا هو الخلق العربي الاصيل ، محب للحرية الطليقة التي لا قيد
فيها ولا تحكم بارادته • ومن ثم أراني عندما أحاول ذكر التطور

الفكري من الناحية الديمقراطية والحرية كأنتي أضلم العربي
وأعتدي على تاريخه اذ أزعم بأنه تطور فكريا من الناحية
الديموقراطية بهذا العصر . بل ان الديمقراطية والحرية هي خلق
أصيل في نفس العربي ، مطبوعة بلحمه ودمه منذ فجر التاريخ ،
سواء في الجاهلية أو في الاسلام ، بل الذي أعتقده جازما هو أن
الذين يزعمون الديمقراطية ويدعون الحرية والمساواة في عصر
النور هم الذين تطوروا فكريا من الناحية الديمقراطية بتأثير
الديموقراطية العربية والاسلامية التي كان لها الفضل الاسبق
بتطوير الفكر البشري أجمع . أما ان المقلدين الذين اختلسوا
منا أبرز صفاتها وتطبعوا بها حتى روضوا أنفسهم على
ممارستها فوضعوها دستورا لنظام حياتهم الاجتماعية ،
وانجيلا يهتدون بهديه ، اما ان هؤلاء يختلسون منا
هذا التراث المقدس ونحن نعود الى الخلف ونأخذ منهم مخلفات
أخلاقهم السيئة التي نبذوها، وراء ظهورهم، ومن ثم يظن السطحيون
اننا تطورنا فكريا من ناحية الحرية ، وان مصدر هذا التطور جاءنا
من غير بيتنا وأهلنا ، أما ان نخدع أنفسنا الى هذا الحد ، فهذا
شيء لا يقبله ولا يهضمه أدنى عربي عرف تاريخ العرب بصورة
شاملة وعرف تاريخ جزيرتنا العربية بصورة خاصة في عهدها القريب
جدا ، والمعروف حتى أول هذه الفترة من القرن العشرين الذي
نحن في صدد الكتابة عن مراحلہ الثلاث .

والحقيقة التي لا تحتاج الى دليل هي أنه عندما كان عرب الجزيرة في معزل عن العالم فانهم وان كانوا يعانون الشيء الكثير من البؤس والحرمان والبعد عن مظاهر المدنية ورفاهية العيش ، ولكنهم كانوا يملكون من سمو الخلق وابعاء النفس وديموقراطية الطبع ومحبة الحرية والانطلاق ، ومن رصيد الكرامة ، أكثر بكثير مما يتبجح به الغريون بما يسمونه عهد نور وتطور .

فاذا كان هذا العهد يسمى عهد نور فانه بالنسبة للنفر الذين كان يتحكم بعقولهم وأفكارهم البابا والكنيسة ويسيرهم رجال الكهنوت ، كآلة المسخرة . أما بالنسبة للعربي الذي لا يؤمن الا بالله ، ولا يستكين الا لما يمليه عليه ضميره وشممه وابعاءه فانه لا يرى هذا العصر كما يراه الاولون عهد حرية ونور ، والسبب هو أن العربي منذ أن عرف الدنيا كان يعيش بانطلاق وحرية ، كذلك هذا العهد فانما يتمثل عهد نور بالنسبة للشعب الانجليزي الذي كان يتحكم به حاكم كالمملك شارل الذي كان يرى أن له الحق الالهي على رعيته ، وبالنسبة لشعب كالشعب الفرنسي الذي كان يتحكم بمقدراته لويس السادس عشر ، ثم بالنسبة لشعب كالشعب الروسي الذي كان يحكمه القيصر نقولا ومن ورائه راسبوتين . نعم ذلك عهد نور بالنسبة لشعوب لديهم مثل هؤلاء الحكام الذين زوروا

لانفسهم فنونا من الاجلال والالقاب والفخفة، الشيء الذي اعتبره
وقفا لهم دون سواهم ، من سواد الشعب كالجلالة والقياصرة
واللوردات والنبلاء والبرنسات والسلطين والباشوات وأصحاب
المعالي والفخامات والسعادات والغبطة والفضيلة وصاحب العزة
والسماحة والسمو والعطوفة والرفعة الخ .. أجل هو عهد نور
بالنسبة لهؤلاء الذين مزقوا الالقاب بعدما انغمسوا مدة حياتهم
الطويلة بعبادتها وتقديسها ، أما بالنسبة للعربي الذي لم يعرف منذ
نشأته الالقاب ، ولا عظيم عنده بعد الله الا الحق ، ولا ينادي أي
انسان مهما علا شأنه الا باسمه المجرد من كل مظهر من مظاهر التقدير
والعظمة ، فانه لم يعتبره عهد نور كما آمن الاولون الذين كانوا
غارقين في دياجير الظلمات ، هو عهد نور لتلك الامم التي كان يرض
عليها ملوكها وقادتها الانحاء والخنوع وتقييل الاقدام والركب
والايدي والارض أيضا ، هو عهد نور حقا لهؤلاء الشعوب الذين
لم يتحرروا من استعباد واذلال قادتهم وملوكهم لهم ، الا بعد
ثورات دامية ، أما بالنسبة للعربي الذي عاش منذ نشوء البشرية
شامخ الانف ، لا ينحني ولا يخضع الا لقوة الحق وجلالة الباريء ،
فانه لم ولن يعتقد بأنه عهد نور بالنسبة لتاريخه الحافل باسمم
والانفة والشهامة •

فالشعب العربي الذي اعتاد على الحرية ورضع ثديها منذ نعومة أظفاره الى الدرجة التي جعلت أبسط مواطن فارسي ، حتى وان لم يكن عربيا ، يتحدى أعظم حاكم عرفه التاريخ العربي والاسلامي كعمر بن الخطاب ، حين خطب ذات يوم فقال : من رأى منكم مني اعوجاجا فلينصحي . فقام سلمان الفارسي منتضيا سيفه وقال : (اذا اعوججت أصلحناك بهذا) مشيرا الى سيفه ، وفي مناسبة أخرى قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطيبا فقال : أطيعوني ما أطعت الله فيكم . فوقف منه سلمان الفارسي ثانية قائلا : لاسمعا لك ولا طاعة يا ابن الخطاب لانك مرتد ردائين ، والمسلمون على رداء واحد . فقال عمر : أجه يا عبد الله بن عمر ، يقصد ابنه ، فأجاب عبد الله بأن رداء والده الاسفل ممزق وان الرداء الذي يرتديه هو عارية له أي لابنه عبد الله .

وبعد ، فاني لا أعتقد بأن شعبا كهذا الشعب العربي الاصيل بابائه والعريق بشممه، والمعروف تاريخيا بشموخه عن الذل ونفوره من الاستكانة والخنوع ، والمحب للحرية ، يصح أن يعتبر هذا العصر قد جاءه بجديد من الحرية والديموقراطية المزعومة ، بل الشيء الذي تسوؤني الاشارة اليه هو أن بعض العادات التي كانت بقدر ماهي محترمة ومقدسة عند من يسمون أنفسهم رجال عهد

النور والحضارة ، بقدر ما هي محتقرة ومنبوذة في الجزيرة حتى بداية الثلث الاول من القرن العشرين • ولكن رذاذ مكروبها المعدي طار الى جزيرتنا العربية متفشيا في المجتمع من حيث لا يشعر أهلها • أما ما هو تشخيص هذا المكروب حتى تفشى في المجتمع؟ • ومن المتسبب بنقل هذه العدوى المخالفة في أكثرها لعادات وتقاليد العرب ، والقاضية في بعضها على شمم المواطن وكرامته ؟ •

فالجواب على ذلك يكون كالآتي : اما من خصوص تشخيص المكروب فانتني أعني ما ابتلي به المواطنون من الالتقاب التي لم يكن لها أي أثر ولا وجود بين ظهرائهم من قبل كما ابتلي أيضا بعادات كانت أبعد ما تكون عن خلق وشمم أبناء الجزيرة ؟ وهي تقييل اليد التي من مقتضياتها الانحناء والخضوع للانسان الفاني •

واما السبب في نقل تلك العدوى وتسربها للبلاد فقد جاءت من بعض اخواتنا العرب مع الاسف الذين نقلوا لبلادنا تلك العادات التي كان لها الطابع البارز على كيانهم منذ العهد التركي • وهكذا سرت هذه العدوى حتى تغلغت في صميم المجتمع • والذي يدعو الى العجب هو ان شخصا من اخواتنا العرب من الاقطار التي أصدرت قانونا بمنع الالتقاب ، هذا الشخص كان يعيب مواطني الجزيرة بقيامهم بالعادات التي أشرت اليها ، فقلت لصاحبي انها لم

ترد الى عرب الجزيرة الا عن طريقكم فقال: ولكن نحن نبذناها وراء ظهورنا،
فقلت ولكنكم لم تبذوها الا بعد مضي قرون من رسوخها في
نفوسكم . قال : ولكننا في النهاية حكمنا عليها لا بالسجن المؤبد
بل بالموت النهائي . قلت : وما دام انكم استطعتم ان تتخلصوا منها
بقدر مارسخت في نفوسكم مدة لا تقل عن ثلاثمائة عام ، فانه لجدير
بابن الجزيرة أن يركلها بقدمه ، وان يقضي على جذورها التي لم
تتأصل بعد في النفوس كما تأصلت في نفوسكم احقابا طويلة ،
ومع ذلك استطعتم القضاء عليها وحسم آخر ما تبقى من بذورها .

لم يكن لديّ أدنى شك بأن هذه العادات الدخيلة على خلق
أبناء الجزيرة سوف تزول بطبيعتها ، وذلك لاسباب عديدة : منها
انها منافية لخلق وطبائع أهل البلاد الاصيلة . ومنها أن نفس
أصحاب الشأن لم يكونوا محبذين لها منذ الاساس ، وخاصة المرحوم
الملك عبد العزيز ، فقد كان من أشد المتمسكين بالخلق العربي ،
وكان يحارب علانية تلك العادة الطارئة أي تقبيل اليد ، ولكنه
في آخر أيامه غلب على أمره ، ولا سيما بعد ما كبر وأصبح لعامل
السن مفعوله على كيانه . والذي أعتقده انها في طريقها الى التلاشي
والذهاب الى غير رجعة . هذا وانه ليحسن بي أن أشير الى ناحية
فاتني التنويه بها ، وهي التمييز بين الديموقراطية التي يتمتع بها

المواطن من حيث المعاملة الخاصة بينه وبين أكبر مسؤول بالاسرة
الحاكمة من الملك الى أدنى واحد من هذه الاسرة، وبين الديمقراطية
التي لها علاقة ماسة في حرية التعبير والنقد والمعارضة لسياسة
الدولة . فمن الناحية الاولى نجد المواطن عندما يجتمع بأحد من
أفراد أسرة الحاكم ، من الكبير الى الصغير ، فانه لا يشعر بأدنى
شيء يشير الى التعالي والتميز ، بل قد يجد المواطن من
الديموقراطية ولين العريكة ودمائة الخلق الشيء الذي لم يجده
عند بعض موظفي الدولة الكبار أو حتى الوسط، وهذه الناحية يعود
الفضل فيها الى الخلق العربي الاصيل الذي ورثه العرب عن
تراثهم المجيد ، والى التعاليم الاسلامية السمحة التي جاءت موطدة
لما كان صالحا من أخلاق العرب ونابهة لما هو سيء ، كما يعود فيها
الفضل أيضا للمرحوم الملك عبد العزيز الذي كانت تلك الصفة من
أبرز صفاته . ولئن اختلف ابناؤه أو من يمت اليه بأدنى صلة من
صلات القربى بمقدار التراث المعنوي أو المادي الذي نال كل فرد
منهم حظا منه ، فانهم لا يختلفون بنسبة التراث الخلقى الذي
ورثوه وتساووا جميعا باكبر قسط ممكن من هذه التركة المعنوية،
فان زاد أحدهم على الآخر فان الزيادة قد لاتكون محسوسة ،
اللهم الا الشاذ منهم ، فهذا لا حكم له ، وانما الحكم على الاغلبية
كما هي القاعدة المطردة . ولما كانت الامانة التاريخية في العرف

الادبي لا تقل وزنا وأهمية عن الامانة في الامور المادية ، من أجل ذلك فاني أسترعى كريم انتباه القارىء بأن لا يعتبر حكيمى هذا قاعدة مطردة بصورة شاملة ، بل انى أعني من الاسرة الحاكمة النفر الذين جالستهم وحادثتهم ، وبعبارة أوضح أعني الذين بلغوا من العمر العشرين سنة وما فوق ، هؤلاء هم الذين أعنيهم بحكم معرفتي لهم ، اما من هو من هذا السن فما دون فاني لا أستطيع أن أحكم له أو عليه لعدم معرفتي به .

وما دام أننا اتهمنا من الحديث عن ديموقراطية المعاملة ، فلا بد من التحدث عن الديموقراطية ذات العلاقة بحرية النقد والمعارضة لسياسة الحكم وحرية الرأي وحرية الصحافة ، فهذه الاشياء أتحدث عنها بما يلي :

أما من خصوص حرية المعارضة فانه ما دام لا يوجد مجلس أمة فان من مسلمات الامور ان لا يكون ثمة معارضة ذات صبغة شرعية، وأي معارضة تبدو والحالة هذه فان مصير صاحبها من العقاب سيكون بقدر ما تتصف به هذه المعارضة من قوة أو ضعف . هذا مع العلم بأنه في عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ كان ثمة اشاعة قوية تفيد بأنه سوف يؤلف مجلس للأمة ، ولكنه لم يتم شيء من ذلك حتى الآن . وأما حرية الصحافة فانها بالنسبة للفترة التي قبل هذه

الفترة فانها متحررة • وقد كانت عليها رقابة حتى عام ١٩٦٠ حيث رفعت عنها الرقابة واصبحت حرة • والحقيقة ان القارىء في بعض الاحيان يجد كتابة من بعض الكتاب النزيهين المخلصين على أعمدة الصحف فيها من الصراحة والجرأة الشيء الذي لا أظن انه ينشر في صحف بعض البلاد التي ينبغي أن تكون حرية الصحافة أكثر منها في صحف الجزيرة بحكم انه بقدر ما تكون صحف هذه البلاد عريقة في صحافتها أو حضارتها بقدر ما تكون جزيرة العرب قريبة العهد بالصحافة والحياة البدائية •

واذكر في هذه المناسبة ان صاحب صحيفة اليمامة ورئيسها المسؤول الاستاذ حمد الجاسر كتب في عام ١٩٥٩ مقالا لا أذكر عنوانه وانما الذي أذكر منه هو انه يقال أن فيه عبارة تشير الى نقد العلماء ، فظن نفر من هؤلاء بأنهم المقصودون بالنقد ، فقدموا شكواهم الى المسؤولين ضد الجاسر ، فما وسع السلطة الا أن استدعته واعتقلته • ولكنه لم يلبث في السجن أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام فقط • ومن أجل أن يعرف القارىء مدى التطور الذي حدث بهذا الصدد بين الفترة الثانية وبين الفترة الاولى من حيث حرية المواطن فانه ليطيب لي بأن أؤكد بأنه لو سجن الاستاذ حمد الجاسر بتهمة تقده لعلماء الدين في الفترة الثانية فانه قد يلبث في السجن

مدة حياته وقد لا يجد أي مواطن يشفع له ، وربما لم يجد أيضا من يزوره ما دام أن الملك غاضب عليه ، وصاحب الدعوى ضده أكبر عالم يشار اليه بالبنان من علماء الدين . هكذا كان يحصل لا محالة فيما لو اعتقل الجاسر قبل منتصف القرن العشرين .

اما وقد كان سجنه في فترة التطور فانه أولا لم يلبث في سجنه أكثر من المدة التي أشرت اليها بالسياق . ثانيا : ان عدد الذين زاروا الاستاذ الجاسر في سجنه خلال مدته القصيرة أكثر من مائتي مواطن بما فيهم عدد من نفس الامراء وكبار موظفي الدولة .

« بعدما أنهيت كتابة هذه الجملة اجتمعت بالاستاذ حمدا الجاسر في بيروت ، وذكرته بسجنه مؤكدا له بأنه لو كان مسجوناً في العهد الذي قبل فترة التطور لما وجد من يسأل عنه ، فأجابني الاستاذ الجاسر قائلاً : « وما أدراك اني سجنتم في عام ١٩٤٣ ولبثت في السجن أربعة عشر يوماً في حالة يرثى لها بدون أن يزورني أدنى مواطن يذكر » .

والذي تجدر الإشارة اليه هو ان الاستاذ الجاسر عندما سجن في المرة الاولى كان قاضياً سابقاً ، ولا زال يتمتع بحرمة القضاء ، أما في سجنه الثاني فلم يكن أكثر من مواطن كرئيس تحرير جريدة اسبوعية ، وزيادة على ما تقدم فقد كان سجنه الاول لا يمت الى

الامور السياسية بأية صلة من الصلات ، بينما التهمة التي أخذ بها في السجن الثاني وان لم تكن ذات شأن كبير ، ولكنها لو وقعت في الفترة السابقة لما كان عقابه عليها الا الموت لا محالة . ومن هذا يتضح مقدار مدى التطور الفكري الشعبي بين الفترة الاولى والفترة الاخيرة .

وثمة ملاحظة أخرى تحسر النقاب عن الفرق الكبير بين الفترة الاولى وبين الثانية .. ففي الفترة السابقة لم يسبق قط ان سجن أي مواطن بأدنى تهمة تمت الى توزيع منشور مثلا يشير الى مطالبة السلطة بطلب المزيد من الاصلاح العائد نفعه للوطن بصورة عامة، ثم يحدث شيء من ذلك قطعيا خلال الفترة الاولى والتي تليها ولا بشكل من الاشكال .. وكل الذي كان يحصل هو انه اذا سجن أحد أو قتل بتهمة سياسية فانما تكون تلك التهمة مطبوعة بالطابع القبلي المحدود ضمن نطاق التعصب لهذه القبيلة أو التحيز لتلك البلاد أو تلك الزعامة العنصرية البائدة . هكذا كانت التهم السياسية التي كان مصير أصحابها السجن أو القتل احيانا . أما الآن فقد نسبت لبعض المواطنين تهم سياسية وجهت اليهم بتهمة توزيع منشور ، ولكن لم يكن في هذه التهمة الشيء الذي يشم منه أدنى رائحة تتصل بكثير أو بأقل من القليل بالاشياء القبلية أو الاقليمية

التي كان يتحيز له رجال تلك الفترة ، بل انما هي ذات طابع شعبي بعيد كل البعد عن طابع خرافة القبيلة والزعامات الاقليمية الهوجاء .
وهكذا يبدو الفارق الكبير بين تلك الفترة التي اذا سجن فيها الملك أحدا أو قتله فانه لا يتجرأ أحد أن يزوره في سجنه أو يشيع جنازته ، بل ولا يتجرأ أحد أن يسأل عنه : لماذا سجن أو قتل ؟ .
بل كانت الكلمة الدارجة الشعبية التي يؤسفني ان أذكرها هي انه اذا سجن مواطن من قبل الحكومة أو قتل كان السؤال والجواب عنه هذه الكلمة (الشيوخ ابخص) معناه أن لا أحد يسأل عنه الا الجهة التي عاقبته فانها هي العالمة بجرمه . وهي التي لها الحق بعقابه وليس لاحد مهما كان حق الاستفسار عن أسباب هذا العقاب ومسبباته .

هذا ولا بد أن يرى القارئ تباينا بين ما كتبه في هذا الفصل عن الحرية والديموقراطية التي يتمتع بها شعب الجزيرة ، وبين ما ذكرته الآن عما يتمتع به المرحوم الملك عبد العزيز من السلطة التي لا تخول أحدا من المواطنين أن يسأله عن تصرفاته فيما اذا حكم على أحد بالسجن أو بالموت . لاشك أن القارئ سوف يجد تباينا بين العبارات الاولى وهذه الاخيرة . ولازالة اللبس أوكد للقارئ بأنني محق وصادق بحديثي في كلتا الحالتين . فأما عن الاولى ، أي

الحياة الديموقراطية والحرية الكاملة التي كان يتمتع بها المواطن،
 فقد كان يتمتع بها البدوي في الجزيرة أكثر مما يتمتع بها الحضري •
 وكان ذلك في الفترة الاولى أي قبل عام ١٩٢١ و عام ١٩٢٧
 وحتى الحضري بتلك الفترة فقد كان يتمتع بحرية أكثر من حريته
 بعد هذه الفترة ، وهي دون حرية البدوي طبعاً • أما بعد تاريخ
 الفترة الاولى ، أي بعد ما تمت للملك عبد العزيز السلطة الكاملة
 في الجزيرة بكاملها ، وبعد أن تمت وحدة البلاد على يده ، وأصبح
 يتمتع بسلطة لا ينازعه بها منازع • عند ذلك أصبح الامر طبيعياً في
 أن يعنفوا أو يعاقبوا من يتهم بأي تهمة سياسية بدون أن يرى أو
 يسمع من المواطنين أية معارضة تذكر • والسبب يعود الى أمرين
 رئيسيين أولهما أن الرجل كان حكيماً الى أبعد حد ، وخاصة
 بمعرفته لخلق العرب ودراسته لنفسيتهم وعلمه الراسخ الوطيد
 بما يرضي العربي ويكسب عطفه وولاءه حتى ولو قتل أباه وأخاه (١)
 ومن تصريحاته التي رويتها عن الثقة نقلاً عنه والتي تعبر أبلغ التعابير
 عن أنه بني سياسة حكمه ووطد أركان ملكه عليها هي ما يقوله ذات
 يوم في مجلسه العام • يقول الملك : اتني كانسان خرجت على
 الدنيا وأعدائي أكثر بكثير من المواليين لي ، وبالتالي انتصرت على

١ - سوف أشير الى هذه الناحية عندما آتي الى ذكر السبب الذي مكن الملك
 عبد العزيز من سيادته للجزيرة •

أعدائي في شتى الميادين الحربية ، وبعد ما تم لي النصر عليهم فاني وان كنت قوي الذاكرة ولا أنسى قطعا كل من كانت بيني وبينه أدنى خصومة ، ولكنني في نفس الوقت أكافح نفسي حتى أنزع من قلبي العداوة القديمة وأحاول ما استطعت بأن أجعل من عدوي بالامس صديقا مواليا . وعندما أتمكن من أن أنسيه عداوته ، عندئذ يكفيني شره . هذا اذا كان عدوي عاقلا وكراما ، أما اذا كان لثيما ، فهو لايفيد فيه حسن معاملتي ، بل انه يرتكب ضدي شتى الاعمال السيئة ، ومن ثم يأتيني من يحذرني حاملا الي كل دقيقة وجليلة من حركاته وأعماله المعادية . فأغض طرفي عنه من ناحية ، وأخذ بالحذر والحيطه من ناحية ثانية ، الى أن يتمادي في شره ويستغرق في ضلاله ، والى أن أدينه أكثر بالأدلة والحجج التي تدمغه ويكون لي فيها الفلج عليه ، فان أنزلت به بعدئذ الضربة القاصمة كان المجتمع كله بجانبني ، شاهدا لي عليه .

وهكذا نجد ان السر الذي كان يجعل الملك عبد العزيز اذا انتقم من أحد لايجد معارضا أو مناهضا ، انما هو سلوكه من السياسة التي تحسم الطرق في وجه أي معارض له كما أشرنا . أضف الى ذلك انه لم تتم له الوحدة الكاملة في البلاد الا بعد أن قضى على كل من يكون لديه شيء من قوة المعارضة .

الصراع بين الجديد والقديم

كان الصراع ولم يزل عنيفا وقاسيا الى أبعد حد من حدود القسوة بين جيل الجمل وبين جيل الذرة والصاروخ • وكل منهما يكافح بكل ضراوة وشدة في سبيل ما يؤمن به عن عقيدة واخلاص ، ويوشك الا يكون بينهما من يقبل انصاف الحلول ، من أقصى اليمين الى أقصى الشمال ، فينما الاولون يرون كل جديد لم يألوه ضللا ومنكرا ، كذلك يرى الآخرون كل قديم يجب أن يقوض ويبنى من جديد • وظل الصراع قائما بين الكتلتين كما ظل المسؤولون محايدين وحائرين بين الكتلة التي يمثلها الاقدمون وبين الكتلة التي يمثلها التقدميون ، وبين تزلزلت الاولين وتطرف الآخريين ، وحيرة المسؤولين والمحايدين ، بين هذه الجهات الثلاث يأتي التطور الزمني الذي لا يقبل الرجوع الى

الخلف ، ولا يرضى الهدوء والاستقرار ، بل ولا يؤمن الا بأن يسير قدما الى الامام ، فمن سار بجانبه كتبت له النجاة ، ومن وقف أمامه سحقته عجلة التطور . وأمام هذا التيار الجارف يستيقظ المحايدون الحائرون من حيرتهم ويفيقون من سباتهم ويكون لديهم من الشعور ما يجعلهم يدركون ان مسابرة قافلة التطور أسلم عاقبة من الوقوف أمام العاصفة ، وان مخالفة الشيخ القديم الهرم أهون عاقبة وأسلم خطرا من تحدي الجديد الناشئ ، فتسير السلطة منذ الفترة الاخيرة بجانب الجديد الى حد ما مع الاحتفاظ بخط الرجعة نحو القديم .

وفي الحين الذي ترى القوة المهيمنة أن هيمنتها لا تدوم ولا تستمر بقدر ما تسير وتطور الزمان جنبا لجنب ، في ذلك الحين يأتي القديم المزمع فيناضل نضال المستميت مطالبا بأن يترك له كل ما كان يتمتع به من امتيازات واستحقاقات كانت جارية له قبل فترة التطور واليقظة .

فتصاب القوة المهيمنة بحيرة أخرى بين ما تقتضيه ظروف التقدم بكل معنى من معاني هذه الكلمة ، وبين ما تطالب به من قبل الجانب الآخر من واجبات وضروريات كانت متعهدة بدفعها وملزمة بالقيام بها منذ أن تأسست هذه الدولة . فمن رأس عشيرة كان يعيش هو ورجال أسرته على النهب والسلب ، فحالت القوة المهيمنة بينه وبين

ما يقوم به من اختلاس يخل بالامن وجعلت له من خزينة الدولة ما يقوم بأوده ، وينسيه القيام بعمل كتلك الحرفة القبيحة ، وبين أسر كان لكل منها زعامة على جانب من جوانب الجزيرة عندما كانت الجزيرة مجزأة ، فجاء موحد الجزيرة المغفور له الملك عبد العزيز فقضى على هذه التجزئة وتلك الزعامات ، ولكي ينسى هؤلاء الزعماء لذة زعامتهم وحلاوة سيادتهم ، ولكي يستولي على قلوبهم كما استولى على حكمهم ، وليأمن مكرهم واتقضاضهم .. من أجل ذلك كله وضع لأفراد هذه الاسر ولكل من يمت اليهم بأدنى صلة من صلات القربى مخصصات شهرية مغرية وقواعد سنوية من خزينة الدولة وبين مستشارين وموظفين قدامى كانت القوة المهيمنة ترى انهم من بناء هذه الدولة منذ بداية تأسيسها فرأت أن تمنحهم مكافأة على خدماتهم ، وحيث انه لا يوجد لدى الدولة أوسمة كرمز معنوي تمنحه لمن يقوم بخدمات للوطن كما هو العرف المعمول به عند الدول المتحضرة ، لذلك رأت القوة المهيمنة أن تضع لهذه الفئة قواعد سنوية عدا مرتباتهم الشهرية •

ويضاف الى هذه العوامل الثلاثة الداخلية التي تستهلك من ميزانية الدولة القسم الوافر ، يضاف الى ذلك واجبات خارجية قد لا تكون الدولة ملزمة بالقيام بها ولكنها كدولة عربية أو بالاحرى

كدولة قريبة العهد بالعادات البدائية العربية والكرم العربي الموروث ، بصرف النظر عن كون هذه العادات تتنافى وتطور العصر الحديث أو لا تتنافى ، فهذا شيء ليس موضع بحث بالنسبة لما نتحدث عنه كواقع محسوس ، المقصود ان هناك امورا تبتتها الدولة منذ قيامها فأصبح من العسير جدا أن تتخلى عنها ، وان كانت خارج نطاق حدودها ، وان لم يكن أيضا ثمة سبب الزامي يضطر السلطة المهيمنة القيام بها ، اللهم الا ما يسمى بالكرم العربي ، ليس الا ، فمثال ذلك عندما يقصد الدولة شخص عربي من خارج حدود المملكة ، ولم يكن لهذا الشخص أية التزامات على الدولة ، ولم يكن لها من وراء مؤازرتها له أي هدف سياسي ، وكل ما في الامر ان هذا الشخص من أسرة عربية عريقة في كرمها ومجدها ، ولكنه في آخر أيامه عضه الدهر بنابه ، وفقد كل ما بين يديه من مال كان ينفقه في الواجبات العربية العامة والخاصة ، وأصبح بعدما كان يعطي بحاجة الى أن يعطى ، وبعدها كان يهب أمسى بحاجة أن يوهب ، وبعدها كان يجبر عثرات الكرام بات بحاجة الى من يجبر عثرته ، أقول عندما يأتي شخص الى السلطة المهيمنة من أبناء العرب الساكنين في البلاد العربية المجاورة فان هذه السلطة لا يسعها أن تتجرد عنه بل ترضع له من الخزينة ما يفي بحاجته ، ويجبر عثرته •

عفوا لقد قلت عندما يأتي عربي يحمل تلك الصفات ، وكلمة
(عندما يأتي) تكون فعلا مضارعا قابلا للحال والاستقبال ، ولذلك
أحب أن أستدرك وأؤكد انه سبق أن أتى للدولة كثير من هذا
النوع ، ووضع لكل من أتى مرتبات شهرية تأتيهم وهم عند أهلهم ،
ولم يكن موضع الغرابة الشيء السابق القديم ولكن موضع الغرابة
هو انني تأكدت انه في هذه السنوات الاخيرة وفي عام الستين
ميلادية جاء شخص عربي من مواطني احدى الدول العربية المجاورة ،
وهذا الشخص حري به أن تنطبق عليه جميع الصفات العربية
السالف ذكرها ، ولكنه خسر كل ما يملكه من ثروة بمحض صدفة
القضاء والقدر ، فأصبح كما أشرت آنفا بقدر ما كان يجبر عثرة
الكرام بحاجة الى من يجبر عثرته ، ولما علمت السلطة المهيمنة بأمره
وضعت له مرتبا شهريا يصله وهو عند أهله في بلاده الخارجة عن
حدود المملكة ، وأضيف مؤكدا بأن السلطة ذات الشأن لم يكن
لها من عملها هذا أية غاية سياسية ما عدا الوفاء بالعادات والتقاليد
العربية القديمة التي يصعب التخلي عنها بكل سهولة .

وبعد فانا اذا اتهمنا من كل هذه الواجبات السالف ذكر
والتي لا ترى الحكومة مفرا من القيام بها ، اذا اتهمنا من هذه
الاشياء الضرورية التي يعتبرها الاقدمون والتقاليد الموروثة العربية

والعرف السائد ضرورة الزامية لامحيص منها كما يعتبرها التقدميون من مخلفات الماضي التي يجب القضاء عليها ، أقول اذا اتهمنا من ذلك نصطدم وجها لوجه بالمشكلة العويصة التي هي أعمق جذورا وأشد تعقيدا من المشاكل السالفة الذكر ، تلك هي مشكلة ما ابتليت به القوة ذاتها من مقررات كانت جارية لها منذ عهد مؤسس هذه الدولة ، وسواء آكانت هذه المقررات زائدة عن الحاجة أو ضمن نطاق الضرورة ، المقصود انها أجريت وأصبحت حقا موروثا لاهلها ، ومن غير السهل التنازل عن شيء منها •

كل هذه الامور كانت سائرة بطبيعتها ، ومضت الفترة الاولى والثانية ولم يحدث من التطور الفكري الشعبي ما يجعل أحدا من المواطنين يتصور أن هذه النقفات السالف ذكرها سوف تؤثر على ميزانية الدولة •

لا لم يبلغ الوعي القومي الى هذه المرحلة ولم تخطر له ببال ، وحتى السلطة المهيمنة لم يأتها أحد ينبهها الى هذه الناحية ، لافي الفترة الاولى ولا في الثانية ، ولا في بداية الفترة الاخيرة •

وفي العام الثالث من بداية فترة التطور توفي المغفور له الملك عبد العزيز ، وتولى من بعده نجله الاكبر الملك سعود الحالي ، كان ذلك في بداية نمو التطور الفكري التقدمي ، وفي بقية ما تبقى

من شدة و عنفوان المحافظين القدامى ، وعندها رأى الملك الجديد انه اذا كان والده مؤسسا فلا بد أن يكون هو موطدا ، ولكن المشكلة التي واجهها الموطن لا تقل صعوبة عما واجهها المؤسس ، هذا اذا لم تكن أقسى وأشق .

فالمؤسس كانت أمامه جبهة واحدة هي جبهة الاقدمين فقط ، وكانت هذه الجبهة من السهل عليه تذليلها ، وخاصة بعدما تمكن من توحيد الجزيرة والقضاء على منافسيه ، بعد ذلك أصبح من السهل جدا مساندة الاقدمين وكسب ثقتهم لانه لم يفاجأ بشيء من الافكار والعادات التي لا يعرفها ولا يؤمن بها ، بل كان مؤمنا بما يؤمن به الاقدمون ، ومنفذا لما يطالبونه به ، كان مؤمنا بذلك عن عقيدة ، ولذلك كانت المشكلة التي واجهها الملك الموطن تختلف كثيرا عن المشكلة التي واجهها المؤسس ، فالموطن تبوأ أريكة الملك واستلم أزمة الامور في بداية يقظة التطور الفكري . ولا أقول في نهاية الفكر القديم ، ولا في عنفوانه ، ولكن في المرحلة الوسط ، فأصبح الموطن يشعر بأنه بين جبهتين متناقضتين ، كل منهما يطالب بما يعتقدده حقا من حقوقه ، والمشكلة انهما يختلفان كل الاختلاف سواء بالاهداف أو الغايات . ولما كان الموطن سريع الاجابة والتنفيذ ، فقد رأى أن يرضي الجهتين معا ، فسعى فورا بما جعل الاقدمين يرضون

عنه غاية الرضى حيث أمر بأن تضاعف مرتبات ومخصصات الفئة السالفة الذكر التي كانت تتقاضى من خزينة الدولة منذ تأسيسها هذه المقررات ، وفي نفس الوقت سعى الملك الموصل أيضا الى ارضاء التقدمين حيث ضاعف ميزانية كل وزارة من الوزارات ، وفتح باب التعليم على مصراعيه مجانا ، وخصص المرتبات لمن يدرس في الثانوي كتشجيع للعلم ، كما ضاعف مرتبات موظفي الدولة ، وأنشئت في عهده وزارات حديثة جعل لها ميزانية من جديد ، كما انشئت دور للايتام في عامة مدن المملكة ، وفي الوقت ذاته انشئت عدة مستشفيات حديثة ، كما أنشئت جامعتان * وضوعف عدد المجاهدين أو ما يسمى بالجيش الابيض ، كما وضوعفت ميزانية هيئة الامر بالمعروف ، وميزانية الاذاعة * وقام الموصل أيضا بعمران الحرمين المدني والملكي ، ولكن المشكلة التي بقيت بدون حل هي أن ميزانية الدولة ثقل كاهلها ، وناءت بعبئها ، حيث أصبح كل من القديم والجديد يريد أن يتقاضى حقه منها وافية * والميزانية أعجز من أن تستطيع السير الى المدى البعيد ، على النهج الذي يقتضيه التطور الفكري الحديث ، وهنا تقف القوة المهيمنة موقفها الحرج من جديد ، فالتطور الفكري يرى أن ما ينفق في سبيل القديم انما هو على حساب الجديد ، والقديم يرى أن هذا الجديد

يحاول أن ينزع منه شيئاً من حقوقه التي يملكها منذ وضع أول حجر في تأسيس هذه الدولة .

ونقف عند هذا الحد ، تاركين للزمان حكمه الفصل وكلمته النهائية .

هذا وقد كان بودي أن أجيب القارئ على ما وعدته من بيان السبب الذي جعل الدولة لم تقم بانشاء مصانع حديثة ، كنت أود أن أجيب على ذلك جواباً مفصلاً ، ولكنني أختصر فأقول : أعان الله القوة المهيمنة على ما تعانیه من الصراع المرير بين مطالب القديم الذي لا يعلم ، بل يريد ان لا يعلم ، وبين مطالب الجديد الذي لا يرحم ، ولو شاء أن يرحم فان الزمان لا يرحم ، فان استطاعت القوة المهيمنة أن تسير الجديد بقدر الامكان وتقتنع القديم بصورة تجعله يتنازل بها عن الاشياء التي لا يكلفه التخلي عنها شيئاً يضر به ، ان استطاعت هذه القوة أن تضطلع بهذه المهمة تدريجياً ، فانه بالامكان أن تنشأ المصانع ، وتزدهر البلاد ازدهاراً يتجاوب والتطور الفكري الحديث كل التجاوب .



التوفيق بين الجديد والقديم

عندما أنهيت كتابة الفصل الخاص بالصراع بين الجبهتين ، بعد ذلك شعرت بحافز من ضميري يدفعني بعنف وشدة بان لا أقصر همتي على نقل الامر الواقع أو الماضي كمؤرخ ليس الا ، بل ان يكون لي من غيرتي على تاريخ بلادي القديم وحاضرها ومستقبلها ما يجعلني أتمنى أن تكون جزيرة العرب الاصيله التي كانت مصدر الاشعاع الفكري الذي أضاء على الانسانية أجمع هي صاحبة الزعامة لافي الشرق العربي فقط بل وفي العالم الاسلامي والانساني ، لان المؤهلات الموجودة فيها ومقومات القيادة المتوفرة في تاريخها القديم والحاضر لم تكن موجودة في أي قطر كان ، لافي العالم العربي فحسب بل ولا في أية أمة من الامم . وتلك ظاهرة أستطيع أن اثبتها بالادلة المنطقية التي لاتقبل الجدل متحديا

بها أي معارض يحاول أن يفند رأبي فيما اذا قلت : هات لي في طول الدنيا وعرضها أمة توفر لها من مقومات القيادة ما لو استثمرت على حقها لاصبحت خير أمة أخرجت للناس ؟

هات لي أمة متحدة بعقائدها الروحية ، الاصول منها والفروع ، ومتحدة بقبلتها ، ومتحدة بدستورها ، ومتحدة بلغتها ، ومتحدة بدمها ، ومتحدة بعاداتها وتقاليدها الشعبية ، ومتحدة حتى بلباسها القومي ، ومتحدة بالتالي بقيادتها بصورة جعلت المواطنين مدعنين كل الاذعان لاوامر قائدهم الاعلى بدون قيد ولا شرط ، فان غضب على أية قوة بالدنيا غضبوا لغضبه بدون أن يسأله أي مواطن منهم لماذا غضب ؟ ..

هات أمة بعصرنا الحديث كملت بها مقومات الزعامة ومؤهلاتها كهذه الأمة ؟ .. وعندما أذكر هذه المعاني المتوفرة في كيان شعب الجزيرة وأذكر تاريخها القديم مركز الانطلاق الفكري الذي صقل الفكر البشري من عبادة الاصنام أنى كان نوعها .. عندما أذكر ذلك وأذكر ما تعانیه البلاد من الصراع الناشئ بين القديم والجديد ، أجد ضميري - كما أشرت آتفا - يدفعني بعنف شديد نحو رغبتني وأمنيته بأن تسترد جزيرتنا العربية مكاتنها التاريخية كركيزة أساسية لقيادة العالم العربي . الا أنني في نفس الوقت أجد أن هذا الصراع

القائم بين الجديد والقديم من أهم العوامل التي تجر البلاد الى الخلف ولا يمكن أن تسير البلاد قدما الى الامام ما لم يتفاهم القديم والجديد ، فيسيرا جنبا لجنب بروح صافية وقلب طيب سليم ونية حسنة وعزيمة صادقة ، أما اذا تركا يصرعان فان اصطراعهما هذا لن يكون الا على حساب الوطن بكامله ، هذا في حالة كون الحرب الباردة بينهما سجالا . اما اذا انتقل النزاع من الحرب الباردة الى الاصطدام بين الشقيقين ، لاسمح الله ، فمعناه أيضا مصيبة عظيمة وكارثة كبيرة على الوطن ، ذلك بانه اذا انتصر الشيخ القديم مثلا على الفتى الحديث وقضى على نموه ، وأهَاب بحيويته وحطم شعلة طموحه وقتل عنقوان فتوته ، وأطاح بهمة شبابه . . فهذا يعني ان البلاد عادت الى الوراء عشرات السنين . وهذا يعني أيضا ان البلاد سوف تكون فريسة لقوة أخرى خارجة عن قوة أبنائها لان القديم بهذا العصر بالذات لا يستطيع أن يعيش بمفرده فيما اذا ظل وحده في الميدان ، كما كان يعيش من قبل عندما كان منزويا عن اتصاله بالعالم الخارجي ، فتكون النتيجة الحتمية انه بقدر ما يخيل اليه أنه نجا من شر الجديد الذي هو من أبنائه يكون وقع في شر جديد أعظم خطرا وأسوأ مضرة من أبنائه ، هكذا تكون الحالة بالنسبة للقديم فيما اذا تم له النصر ، أما اذا

انتصر الجديد وأباد القديم نهائيا ، فمعناه أيضا اننا قضينا على حنكة
الشيوخ وتجربتهم ، وقضينا بالتالي على الاحتفاظ ببعض ما تبقى
من حسنات تقاليدنا وعقائدنا العربية والروحية .

اذن فأين الحل وما العمل ؟ .. أترك الامر على ما هو عليه
من الحرب الباردة ونسى أو تناسى بل تتجاهل الحقيقة ونخادع
أنفسنا ونمثل الدور الذي تقوم به النعامة ، ونصبر حتى تنتقل
المعركة من الحرب الباردة الى حرب السلاح فيقع المحذور الذي
ألمحت الى نتائجه الخطيرة في حالة انتصار أحد الجانبين ؟ .. أم
الأجدر بنا أن يستدرك الامر ويتفادى الخطر قبل وقوعه ؟ .. وان
يسعى بالتوفيق بين وجهات النظر لدى الجانبين ؟ ومما لاشك فيه
هو أن السعي بين الجانبين بالاصلاح والتوفيق أسلم عاقبة للجميع
وأوفر فائدة . ولكن المشكلة العويصة تكون عند اختيار
الوسيط الذي يتولى الاضطلاع بمثل هذه المهمة الخطيرة ، وهذا
الوسيط لا بد ان يكون من أحد الجانبين ، لان البعيد عن البلاد
لا يفكر بشيء من ذلك اذ هو لا يهमे الامر كما يههم أبناءها ، ومادام
ان الوسيط لا بد أن يكون من أبناء الوطن وحيث ان المواطنين كما
أشرت لا يخلو الامر من أن يكونوا فريقى القدامى والتقدميين ..
ومن هنا تأتي المشكلة من حيث اختيار الوسيط فان كان من التقدميين

فانه من غير اليسير أن يسعى بدور يرضى عنه الاقدمون • وان كان من الجانب الثاني فانه من مسلمات الامور الا يقوم بمساع تتضارب ومصالحته الخاصة ، اللهم الا اذا كان لديه من الانصاف والعدل وبعد النظر والاخلاص لوطنه ما يجعله يتنازل عن شيء من مصالحته الخاصة تجاه المصلحة العامة ، وهنا أود أن الفت نظر القارئ مستدركا هذه الجملة بالاشارة اليها بما يلي فأقول : « عندما أشير الى الرغبة بوجود وسيط يتنازل عن بعض مصالحته الخاصة تجاه المصلحة العامة ولا أقول يضحى بمنفعته الخاصة من أجل المصلحة العامة » •

عندما أقول ذلك لانني أعلم بأنه مهما بلغ المرء من الاخلاص لوطنه ولأتمته فانه من المستحيل أن يضحى بكل ما يملك ويتنازل عنه دفعة واحدة ليموت جوعا وتحيا أتمته •• ان هذه الاسطورة يرددها الاذكياء السياسيون قولاً ، أما ان يطبقها أحد منهم فعلاً فهذا شيء مستحيل ونادر الوقوع ، فان حدث فانه لا يحدث الا من انسان مسرف في سلامة طويته ، وان شئت فقل سذاجته ، أو من انسان يقع عليه المثل القائل : « مرغم أخوك لا بطل » •

اما وجود من يتنازل عن بعض مصالحه الخاصة تجاه مصلحة وطنه العامة ، فاني أعتقد ان وجود هذا الشيء من المواطنين ليس

معدوما • ومن هنا نكون وجدنا الوسيط الذي يستطيع أن يمثل هذا الدور ويقوم به بكل أمانة ، فالوسيط على هذا الاساس يجب أن يكون من الاقدمين •• وكأني بالقارىء يتساءل عن كنه الحل الوسط الذي يقوم به الوسيط •• وعن الاعمال التي اذا عرضها على الاقدمين لا تؤثر كثيرا على ميزانيتهم ، وهي في نفس الوقت تجعل التقديميين لا ينظرون الى اخوانهم الاقدمين نظرة تفور واشمئزاز ، والعمل الذي يقوم به هذا الوسيط في بداية الامر : أولا أن يتفاهم مع التقديميين بأن يخففوا من حدة حماسهم وشدة سخطهم على كل ما هو قديم ، وان يقنعهم بأنه مهما قيل عن الاقدمين من هنات وتصرفات غير موقفة فانها كانت نتيجة عدم ادراكهم لتطور الزمان ، لا لعقوق منهم لوطنهم كما يتصور ذلك متطرفو الجيل الحديث •• أجل مهما قيل عن هؤلاء من مثل هذه الاشياء فان للاقدمين الفضل في بذرهم نواة هذه الوحدة الوطنية ، وفي صياتهم لكيانها وحرصهم على سلامة استقلالها ، في الحين الذي كانت جميع الاقطار العربية تزرع تحت وطأة الاستعمار التركي سابقا ، ثم الاستعمار الغربي مؤخرا ، ولم يبق قطر من بلاد العرب لم تدنسه أقدام المستعمرين سوى هذه الجزيرة •

اذن لقد كان للاقدمين من فضل الاسبقية ما يجعل هذا الجيل
الناشئ التقدمي يحيي رأسه اجلالا لماضي الاقدمين التليد ، لانهم
ولا شك هم بناء هذه الوحدة ومؤسسوها ، وتقديسا لهذه الفضيلة
الوطنية يجب أن يغض النظر عما يبدر منهم من أعمال ناتجة عن
عدم علمهم بمقتضيات العصر الحديث الذي يتنافى ومفهومهم كل
المنافاة .

ولما كان التقدميون لا يقنعون غالبا الا بالمنطق ، فان من أوجب
الواجبات على هذا الوسيط أن يقنع المتطرفين من هؤلاء التقدميين،
أو يقنع بالاحرى الذي لا يعرف على الوجه الصحيح شيئا من تاريخ
الادب العربي والهدي المحمدي الاسلامي اللذين فيهما من النصوص
والادلة ما يثبت بأن صاحب الاسبقية بالمروءة والجهاد يصح بالعرف
العربي وفي الدستور الاسلامي التجاوز عن عثرته والتسامح عن
خطيئاته ، وهذا (حسان بن ثابت يقول) :

نسود ذا المال القليل اذا بدت

مروءته فينا وان كان معدما

ومعلوم بأن هذا البيت من قصيدة حسان الميمية التي أنشدها
في سوق عكاظ عندما كان جاهليا ، وواضح معنى البيت بأن
صاحب الاسبقية بالمروءة يرى العرف العربي أن يسوء دقبيلته وان

كان معدماً من المال ، أي أن أسبقيته بمروءته تكفي أن تكون شافعة له بالسيادة •• هذا منطلق العرف العربي قبل الاسلام •• ثم جاء الاسلام وأيد هذا المبدأ تأييداً أشد روعة من تأييد العرب في الجاهلية له ، وذلك في حادثة الصحابي حاطب ابن بلتعة الذي كاتب المشركين في مكة وأشعرهم بأسرار المسلمين الحربية •• ثم بعد ذلك انكشف أمر حاطب عند النبي محمد واعترف بجريته ، فظن الحاضرون من الصحابة أن لن تكون عقوبة حاطب الا ضرب عنقه •• ولكن محمداً كان أسماً خلقاً من ذلك حيث قال عليه السلام ما معناه لاصحابه : (ألا تعلمون أن حاطباً وان وقع منه ما وقع ولكنه من أهل بدر ، وأن الله قد عفا عن ذنوب أهل بدر ما تقدم وما تأخر) •

ومعلوم ان السر بالتجاوز عن عشرة من حضر بدر يعود على ان معركة بدر كانت هي المعركة البكر الفاصلة في التاريخ الاسلامي وأهلها يعتبرون هم بناء الحجر الاساسي لوحدة الامبراطورية الاسلامية •

وهنا أعيد الكرة مؤكداً لهذا الوسيط بأن عليه أن يقنع التقدميين بمثل هذه الحجج التاريخية مؤكداً بأنه ما دام أن محمداً تجاوز عن خطيئة حاطب بن بلتعة لانه من النفر الذين جاهدوا

بجانبه بيدر كما ان له موقفا بطوليا في معركة أحد .. فمن أجل ذلك عفا عنه وتجاوز عن غلظته الكبيرة التي تعتبر خيانة في العرف العسكري ويكون عقاب صاحبها الموت .. أفلا يصح والحالة هذه أن يخفف هؤلاء التقدميون من عنفوان تحمسهم ولومهم لآبائهم الاقدمين ما دام أنهم ولا شك أصحاب الفضل الاسبق في تأسيس هذه الوحدة الشامخة المنيعة الجانب ؟ وما دام أنهم لم يقوموا بعمل الا بما يعتقدون عن حسن قصد بأنه طيب ، وذلك لعدم علمهم بما يسير عليه العصر الحديث من تطور عنيف مخالف لعقليتهم القديمة وبعيد عما نشأوا وشاخوا عليه بعد المشرق عن المغرب .

هكذا يجب على هذا الوسيط أن يقنع التقدمين بمثل هذه العبارات وبمثل هذا الاسلوب .. ثم اذا أنهى مهمته مع الاقدمين ووصل الى الحد الذي مكنه من أن يقنعهم أو يخفف من شدة تهورهم ... بعد ذلك يمضي ليقنع المترمتين من الاقدمين فينصحهم ويقدم كل ما لديه من الحجج البليغة والمنطق القوي مؤكدا لهم بأن الزمان دائما بجانب الابن الفتى الناشئ أكثر مما هو بجانب الوالد الكهل ، وانه بقدر ما ينحدر الوالد الى أسفل عتبه من السلم من دور الكهولة الى المرحلة الثالثة ، وهي دور الشيخوخة ، ثم الى أرذل العمر ، وتلك هي المرحلة النهائية التي اذا أو شك المرء

أن يصل إليها تسمى أن يلحق بالرفيق الاعلى، أجل عليه أن يقنعهم بأنه
بقدر ما ينحدر الوالد الى هذه المرحلة بقدر ما ينمو الابن من المهد، ثم
ينتقل الى الطفولة، ثم يرتفع الى المراهقة، ثم ينمو الى الفتوة،
ثم يبلغ القمة نحو النضج الكامل عقلا وجسما، واذا تجاوز الفتى
سن المراهقة ودخل سن الفتوة والنضج فان ذلك الشيخ الهرم
أصبح تحت رحمة الفتى، وغالبا ما نجد الناشء لا يغيب عن ذهنه
كل ما كان يعامله به ولده أيام طفولته من حسنات وسيئات ..
ولذلك يجب على هذا الوسيط أن يقنع هؤلاء الشيوخ القدامى
بأن لا يعاملوا أبناءهم أية معاملة تمس شعورهم، وأن يقنعهم بأن
ما كان يقدمه هؤلاء الشيوخ لأبنائهم بالامس من حسنات حسب
اعتقاد الأقدمين القديم فانه بحسب مفهوم التقدميين يعتبر حقا من
حقوقهم الطبيعية . كما يقنع هؤلاء الاقدمين بأنهم عندما يتنازلون
اليوم عن بعض الشيء الزائد عن حاجاتهم الضرورية فان هذه
العنلية سوف يقدرها لهم ابناؤهم التقدميون فيما اذا جاءت عن
طيب نفس ومحض ارادة، وسوف يكون لهذا التقدير أثره في
تقسية القدامى، وذلك في الحين الذي يصلون به الى سن الهرم
ويصبحون تحت رحمة هؤلاء التقدميين .. أما اذا أصر الآباء
الأقدمون ومضوا في سبيلهم بدون ان يلاحظوا شعور أبناءهم

وبدون أن يتنازلوا لابنائهم برغبة منهم وطيب نفس عن بعض الشيء الزائد ، فان الابناء آتئذ لا يلبثون أن يتضاعف حقدهم ، بل هم يحسبون الايام بالثواني التي تمر دائماً بصالحهم بقدر ما ينحدر بأبائهم القدامى الى أرذل العمر ، فعندها يأخذ الابناء حقدهم من آبائهم بقوة لا تكلفهم أدنى تعب أو نصب . هذا ومما لاشك فيه بأن الوسيط عندما يقوم بهذه الجهود المعاكسة بين الجانبين فان كلا منهما سيخفف من حدته ويهون من شدته ، والذي يهنا الآن هو ان يتنازل الشيخ القديم بمحض ارادته عن جزء يسير من الشيء الزائد عن لوازمه الضرورية . وعلى هذا الوسيط بعد التمكن من اقناع القدامى ، عليه أن يقترح عليهم أن يتنازلوا عما يصل اليهم من خزينة الدولة المشتركة عن قدر لا يقل عن عشرين بالمائة شريطة أن يكون هذا التنازل من الاعلى الى الادنى وهذا المبلغ يوحد وينشأ به مصنع أو أي عمل مضمون الفائدة للوطن . وينبغي أن يطلق على هذا المشروع اسم مرتبط بهؤلاء القدامى « كمؤسسة الرعيل الاول مثلا » أو ما أشبه ذلك . ويجب أن يكون للعاجز في المستقبل من هؤلاء القدامى أو لابنائهم المقلين القدر الذي يفي بحاجتهم ، كما ينبغي أن يستمر التنازل كل عام عن نسبة معينة لا ضرر فيها ولا اضرار . وأعتقد أن الاقدمين متى

وثقوا بأن هذا المشروع سيكون باسمهم وانه يكون ضمانة العاجز والمقل منهم بحياته ، ولليتم القاصر من ابنائهم بعد مماتهم ، فان المنصف العادل منهم لن يكون لديه أي تردد عن قبول اقتراح الوسيط وتنفيذ فكرته •

هذا ويروق لي أن أؤكد للقارئ بانني عندما شرعت بالكتابة أي « التوفيق بين القديم والجديد » ، ظلت فترة وأنا في حيرة من الامر أقلب القلم بيدي، ويدفعني حافز ضميري الى الامام ، وتجربني رواسب الماضي الى الخلف • ولا عجب بأن أقف موقف الحيرة بين الاقدام والاحجام وأنا الذي تأثرت الى أبعد حد بالقديم كما أنني أجد تفكيري سائرا بلا قيد ولا شرط نحو الحديث •

هذا من الناحية الفكرية ، أما من الناحية الاقتصادية فان مصلحتي الخاصة مرتبطة بالقديم أكثر من ارتباطها بالجديد • هذه حقيقة أقولها بصراحة •• ولهذا رأيتني حيران بين الجبهتين •• وأزيد القارئ وضوحا بأنه عندما يتم تنفيذ اقتراح الوسيط الذي أشرت اليه ، أي بأن يتنازل أصحاب الامتيازات من القدماء عن عشرين بالمائة مما يدخل عليهم من مالية الدولة ، وعندما يستمر التنازل سنويا عن نسبة معينة ، فانه سوف ينالني نقص في ميزانيتي الخاصة ، الا انه النقص الذي لا يؤثر على وضعي الاقتصادي الا بعد

ما أحال على التقاعد ، ذلك بأنني وان لم أكن من الاقدمين بناة هذه الدولة ، بل ولا من التابعين ، ولكنه على أي شكل كان فانه عندما ينفذ مشروع الوسيط بصورة عادلة شاملة للكبير قبل انصغير فانه سوف ينالني تقص في ميزانيتي بصورة عامة •

وما دام الأمر لا يؤثر التأثير الكلي في ميزانيتي ، ومادام ان هذا العمل يوفق بين وجهات نظر المتصارعين من المواطنين الاقدمين والتقدميين ، فاني أجد ضميري مطمئنا ، ونفسي هادئة راضية بأي عمل يعود نفعه الشامل على الوطن ، ولا سيما اذا كان هذا العمل لا يضر بمصلحتي الخاصة الضرر الحاسم • واذا كان هذا العمل أيضا يصل بنا الى مساواة عادلة بين من يعيش الى أبعد حد من حدود الترف ومن يعيش الى أقصى حد من حدود البؤس ، وحينما تكون العدالة مشاعة بين المواطنين فلا يكون بعد ذلك تعال من الاول على أخيه الادنى كما لا يكون من الادنى حقد على الاعلى •



السر الرئيسي الذي مكن الملك عبد العزيز آل سعود من توحيد الجزيرة وسيادتها

قد يكون هذا الموضوع الذي نتحدث عنه خارجا عن نطاق البحث الخاص في التطور الفكري ، ولكنه جاء عارضا في المقدمة ، وقد قطعت وعدا بأني سوف أتحدث فيه عن السر الذي مكن الملك الراحل من السيادة على الجزيرة وتوحيدها ، ولذا أخوض هذا البحث وفاء بوعدتي من ناحية ، ومن ناحية ثانية لكي أوضح السر الذي يجهله الكثيرون ، ورغبتني في أن يتخذ أي قائد من قادة العرب الذي تسنح له الفرصة لقيادة الأمة العربية وتوحيدها قدوة من سياسة ذلك القائد العربي الذي كان السر في نجاحه معرفته الراسخة بالنقط الحساسة التي اذا أوتي العربي من قبلها سلم زمامه لقائده بكل سهولة ، ونسي كل

ما بينه وبين قائده من عداوة واحقاد .

وقبل أن أبدأ الكشف عن ذلك السر ، أود أن أشير الى السبب الذي جعل كثيرا من المؤرخين يغفلون الكتابة عن الصفة البارزة التي طبعت عليها نفس عبد العزيز ، تلك الصفة التي كان يجب أن يضعها كل كاتب في مقدمة كتابته التاريخية ، لانها وحدها ، بعد الله ، هي التي مكنته من توحيد عرب الجزيرة ، وأعتقد أن الامر الذي جعل اولئك المؤرخين يقتصرون في كتاباتهم على فتوحاته و انتصاراته وغزواته ، ولم يكتب واحد منهم عن كنه الفلسفة الحقيقية التي كانت عاملا أساسيا في بروز شخصيته كموحد لشمل شعب مضت عليه مئات السنين والنعرات القبلية والتحيز الاقليمي والتجزئة العنصرية طاغية على مشاعره ومهيمنة على كيانه ، حقا لم أر أحدا كتب شيئا عن ذلك اللهم الا ما هو من قبيل سردا لحوادث ليس الا ، والمقصود من علم التاريخ هو كما أشار اليه الزعيم الالماني هتلر بكتابه كفاحي ص ٢٢٣ حيث قال : (المقصود من تعلم التاريخ ليس مكاتته الماضية وانما المقصود استخراج الدروس والعبر من هذا الماضي) . ومن هنا أود أن أؤكد أن السر في رأيي في عدم وجود من كتب عن هذه الناحية الهامة في نجاح عبد العزيز يعود الى ان الكتاب الذين كتبوا عنه لم يعاصروه منذ بداية أمره ، ولم يعرفوه

الا بعد ما تمت له سيادة الجزيرة ، هذه ناحية والناحية الثانية هي أنهم حتى لو قدرنا انهم عاصروه منذ البداية فانهم لا يستطيعون أن يلموا بجميع جوانب شخصيته ما لم يكونوا من نفس البيئة ، واقفين حق الوقوف على عادات وتقاليد البلاد كنف من صميم أبناء الجزيرة ، وواقفين أيضا على معاني الادب الشعبي الذي يعبر أبلغ تعبير عن حياة أبناء الجزيرة التقليدية ، ويوضح ما لهم وما عليهم وما وصف به الشعراء الشعبيون المرحوم عبد العزيز من النعوت المتباينة (١) ، ما كان له أو عليه ، والاهم من هذا كله هو أن لا يكون الكاتب من أبناء الجزيرة الذين عاصروا عبد العزيز كموالين ومؤيدين له فحسب ، بل من الذين عاصروه بعد ما قضوا فترة من عمرهم وهم خصوم معارضون ومن أشد الأعداء الالداء له ، ثم استولى عليهم بل استولى على أفئدتهم فأصبحوا من المخلصين له ومن أعظم المحبين لشخصه .

ان من يجمع هذه الصفات أو بعضها وخاصة الاخيرة منها
أر من ينقل عن الرواة الثقة المُنصفين الذين اجتمعت بهم هذه الصفات

(١) ربما يقال ولماذا لم يكتب عنه الرجال الشعبيون الذين عاصروه ؟ فالجواب على ذلك هو انه بقدر ما ينقص الكتاب الذين كتبوا عن عبد العزيز معرفة الادب الشعبي الذي يؤهلهم للكتابة عنه بكل سهولة بقدر ما ينقص الذين عاصروه معرفة الكتابة بالمرية الفصحى . وعلى هذا الاساس ضاع تاريخ الملك الراحل بل ضاع الكثير من تاريخ الجزيرة بين جهل هؤلاء وتطفل اولئك .

المشار إليها ، فهو وحده الكاتب الذي يستطيع أن يكتب وأن يوضح أنبل صفة عربية خولت عبد العزيز آل سعود قيادة عرب الجزيرة وتوحيدهم •

هذا واني لا أريد أن أسرد الحوادث التاريخية ، وآتي بذكر الاسباب والمسببات التي أبرزت شخصية عبد العزيز ، لا أريد أن أذكر شيئا من ذلك لان ذلك يحتاج الى مجلد خاص أو مجلدات ، ولانه بالتالي يعود بنا الى نفس الاسلوب الذي سار عليه من كان قبلنا من المؤرخين ، ولذلك أود أن أذكر أهم الاسباب وأبرز الصفات التي كانت عاملا أساسيا لسيطرته على أرجاء الجزيرة بكاملها •

وهنا أتساءل : ما عسى أن تكون هذه الصفة ؟ أهى الشجاعة ؟ لعلها هي ، لانه كثيرا ما كان عندما يدعو الداعي وتضطره الحال يغامر بنفسه مغامرة المستهتر بالحياة ، ولكنها لم تكن الشجاعة هي الصفة البارزة فيه رغم وفرتها بشخصيته ، لانه صارع شجعانا ثم صرعهم ، ولكننا لانستطيع أن نحكم بأن أولئك الابطال الذين صرعهم وقضى عليهم في ميدان الحروب والسياسة كانوا أقل منه شجاعة ، أو كان هو أوفر منهم بطولة ••

اذن •• أتكون الصفة البارزة هي الكرم ؟ فهذه الصفة أيضا

وان كانت مطبوعة بدمه ولحمه ولكننا لانستطيع أن نطلق الحكم بكل سهولة بأن الكرم كان وحده هو الذي بلغ به ما بلغ من الهيمنة على الجزيرة لاننا نعرف انه خرج من الكويت وهو فقير فقرا مدقعا ، وبماذا يكرم الفقير المعدم ؟ هذه ناحية والناحية الاخرى هي أننا نعرف أيضا بأنه تصدى لمحاربة أناس كانوا يهبون الذهب الرنان بالكمية لا بالعدد ، ومع ذلك هزمهم من أقدم الاماكن .. فماذا نقول ياترى ؟ أقول أن السر لسيادته للجزيرة يعود بأن لديه قبيلة كثيرة بعددها وقوية بعتادها ومنيعه الجانب بسطوتها ??

أقول ذلك والتاريخ يفيد أيضا بأن قبيلته التي ينتمي اليها بالرغم من وفرة تلك الصفات بها ولكنها لم تحارب بجانبه يوما من الدهر ، كما يفيد التاريخ أيضا انه ما من قبيلة من قبائل الجزيرة الا حاربتة ، اللهم الا ما كان نادرا ، والنادر لاحكم له ، هذا اذا وجد النادر ، وقد تختلف هذه القبائل بحروبها له ، لارحمة به ولا تسامحا منها ولا عفة عن حربها له ، ولكن الاختلاف يكون بقدر ضعف هذه القبيلة وقوة بأس الاخرى وشدة ضراوتها . كما انك قل أن تجد بلدة من بلدان المملكة الا حاربتة ، بما في ذلك بلدته الرياض فان رجالها حاربوه بجانب عدوه ابن رشيد وطرده في محاولته الاولى لاحتلال الرياض ، ولم يتركوا مقاومته في

هجومه الثاني على سرية ابن رشيد الا نكاية بعبد العزيز بن رشيد،
الذي عاملهم بواسطة مندوبه سالم السبهان معاملة سيئة لا يمكن
أن يطيقها العربي الأبي ، فعندها قلبوا للرشيدي ظهر المجن ،
وصافحوا عبد العزيز بن سعود . وما دام ان بطل الجزيرة لم يبن
زعامته على واحدة من هذه الامور التي أشرنا اليها فلا بد والحالة
هذه أن يكون هناك سر خطير أعظم وأجل مما ذكرنا .

ولكن ما هو هذا السر العظيم الخارج عن هذه المؤهلات
للزعامة ؟ . . . أجل انه السر الجليل ذو الاهمية الكبرى الذي أدرك
محمد عليه السلام عظمة مفعوله وهيمنته على شعور العرب
وعواطفهم فقال :

« انكم لا تملكون الناس بأموالكم ، ولكن تملكونهم بأخلاقكم »
وكل من يظن ان عبد العزيز آل سعود ملك الجزيرة بالسيف ،
فانه يجهل تاريخ البلاد جهلا عميقا ، فالسيف لم يكن وحده العامل
الاول بانتصارات عبد العزيز في توطيد حكمه ، وكل من يظن
انه ملكها بالمال فانه جاهل أيضا ، وكل من تتبع
سياسة الرجل بدقة وجد أن برنامجه الذي سار عليه في توطيد زعامته
هو انه عندما ينتصر على هذه القبيلة ويحتل تلك البلاد فانه ينظر
لهذا الانتصار المادي نظرة ثانوية بالنسبة للانتصار المعنوي .

ولذلك نجده لايهتم باستيلائه على البلدة التي يحتلها بقدر ما يهتم بأن يستولي على قلوب أهلها استيلاء كاملا لا ينافسه به زعيم آخر.

هكذا كانت فلسفة حكم عبد العزيز آل سعود التي سار عليها والتي تعبر بوضوح بأنه وان كان بغزواته فتح البلاد وأسر الرجال، ولكنه كان بعدما يتم له النصر المادي على خصومه يسخر جميع قواه الى فتح قلوب الرجال كما فتح بلادهم وان يأسر نفوس أعدائه كما أسر رقابهم .

وبعد ، فاني عندما أذكر هذه الفلسفة لحكم الملك عبد العزيز وأؤكد بأنه يحرص بالدرجة الاولى على أن يستولي على قلوب أعدائه ما استطاع أشد من حرصه على أن يستولي على حكمهم وسيادتهم ، عندما أذكر ذلك لابد لي من أن آتي بأدلة وشواهد منطقية ، والا كان الحديث بهذا الصدد ضربا من الوهم والظنون.

من المعروف أن أكبر المنافسين لعبد العزيز آل سعود وأقواهم بأسا وأعنفهم قبيلةهم آل الرشيد، ولكي يعرف القارىء ما هو الاسلوب الذي يستطيع الملك عبد العزيز أن يملك به قلوب أعدائه قبل أن يملك رقابهم، لكي يعرف ذلك أحب أن أورد القصة التي رويتها عن المرحوم الامير عبد الله بن متعب بن رشيد المتوفى عام ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٢ ، ومن أجل أن تكون للقصة قيمتها التاريخية والواقعية أود

أن أوضح للقارىء الذي قد لا يعرف شيئا عن مكانة بطل القصة ومنزلته في تاريخ أحداث الجزيرة القديم ، فالراوي كان أمير حائل عاصمة المنطقة الشمالية من الجزيرة وابن أميرها متعب ، وحفيد أميرها المرحوم عبد العزيز بن رشيد الفارس المشهور الذي كان أعنف وأقوى من أي خصم نازله المرحوم عبد العزيز بن سعود ، والذي كان مصرعه على يده ، والذي يعتبر ابن سعود أن مصرعه لابن رشيد فاتحة عهد جديد في انتصاراته الأولى ، فيكون بطل الرواية هو الشخص الذي قتل عبد العزيز آل سعود جده ، وحطم زعامته وزعامة أسرته وأسر رقبته ، (ولكنه في الوقت ذاته أسر قلبه وملك نفسه) وأكبر دليل على ذلك هو اني سمعت هذا الشخص ذات ليلة يقول : (أنمى أن الأجل يمنح كما يمنح المال) ، ثم واصل حديثه فقال لو ان الاجل يمنح لمنحت من أجلي قسما لعبد العزيز ابن سعود .. لقد دهشت ساعتها وكيف لا تأخذني الدهشة عندما أسمع هذا التصريح من شخص وضعه كوضع ابن رشيد ، وزادني دهشة هو اني أولا أعرف عبد الله جيدا بأنه صريح ولا يمكن أن يتحدث أو ينطق الا بما يعتقد ويؤمن به .

ثانيا : هو انه صرح بهذه الجملة في الحين الذي أعتقد جازما بأنه لم يكن بين السامعين للجملة التي قالها أي شخص يحتمل

أن ينقل مثل هذه الكلمة لمصدرها قطعيا .

ولقد خطر في ذهني حينذاك ان الملك عبد العزيز واهب للرشيدي مبلغا مغريا من المال ، ولكن هذا خاطر لم يدم طويلا في مخيلتي ، والسبب هو اني أعرف عبد الله كما يعرفه الكثير غيري ، بأنه امرؤ لا تؤثر الاثياء المادية على كيانه كتأثير الاثياء المعنوية ، وذلك انه حتى ولو وهبه الملك مالا فانه بدوره هو يهب ما يأتيه في حينه ولا يدخر درهم اليوم للغد ، اذن فالقضية التي جعلت عبد العزيز يجعل عدوه وابن عدوه وحفيد عدوه الخ... يدعن له بالولاء والمحبة والاخلاص الى الحد الذي يجعله يتمنى أن يهبه قسما من أجله أي معناه يفديه بنفسه ... ان السر في ذلك أعظم من أن يكون ماديا .

نعم انه معنوي حقا . ولقد اتضح لي شيء من هذا السر فيما بعد وبمحض المصادفة .

وفي مناسبة أخرى كنت جالسا في منزل صاحب الرواية ، أعني المرحوم عبد الله آل رشيد ، واذا به يروي معاملة عامله بها الملك عبد العزيز ، وهذه المعاملة قد لا تكون ذات أهمية من حيث مظهرها الشكلي ، ولكن من حيث تأثيرها الواقعي على نفسية العربي من هذه الناحية تعتبر أروع التعبير عن كنه السر الحقيقي

الذي جعل هذا العبقرى الموهوب يستطيع أن يأسر قلوب أعدائه
كما أسر رقابهم ، ويستولى على مقاليد نفوسهم كما استولى على
سيادتهم • والتفصّل كما رواها بطلها تتلخص كما يلي :

يقول الراوي : في عام ١٣٥٥ هـ الموافق ١٩٣٥ م سافر بصحبة
الملك عبد العزيز الى شمالي الجزيرة ، فشخص نحو حائل ، أي
عاصمة إمارة صاحب الرواية سابقا ، فدخلها • ومن هنا يصف لي
الراوي الشعور السيء الذي ألم به في بداية ذلك اليوم ، كما انه
يصف كيف تبدل ذلك الشعور الحزين بشعور مرح وغبطة وسرور
في نفس ذلك اليوم أيضا بل في نفس تلك الفترة •

يقول عبد الله : لقد ذهبت من بلدتي حائل في الفترة التي أذكر
انني صاحب السيادة فيها ، وانما بعدما بقيت في الرياض مدة
طويلة انساني بها عبد العزيز آل سعود بمعاملته الطيبة بلادي ،
كما انساني أمارتي وقبيلتي ، ولكنني بعد أن عدت هذه المرة الى
بلدتي ، ورأيت مآثر أهلي وقصر أمارتي مهتما ، بعد ذلك تذكرت
مجد آبائي وخالجنى شعور من البؤس والحزن ، واحتقرت حياتي ،
بل وزهدت بها ، وتمنيت انني لم أخلق ، ودار في خلدي كثير من
الخيالات التي لا يعلمها الا الله ، ويسترسل ابن رشيد في
حديثه فيقول : الا ان هذا الشعور الحزين ، وذلك الاحساس
المؤلم ، لم يدوما أكثر من دقائق معدودة ، وذلك انه سرعان ما دخل

عليّ الملك عبد العزيز بوجهه الباسم فقال : لاشك بأنك يا عبد الله ذهبت من بلادك وأنت صغير ، ولك الآن عنها خمسة عشر عاما ، وقد عدت اليها الآن رجلا كبيرا ، لذلك أود أن تذهب وتزور من تريد من أحبائك بها ومن أقربائك و .. الخ .. يقول عبد الله فأجبت قائلا : ان أهلي وابتائي ومن أحب كلهم تركتهم في الرياض ، ولم يكن لي « يا طويل العمر » في هذا البلد من أعرفه ، لاني تركتها صغيرا كما هو معلوم لديكم ، ويستطرد عبد الله فيقول : ولكن عبد العزيز عندما رأى اصراري بعدم قبول الفكرة ذهب وألح علي بأن أذهب لاستحم بنفس الحمام المهيأ للملك . ويؤكد الراوي بأنه رفض قبول الاقتراح ولكن عبد العزيز هذه المرة أصر ولم يدع له فرصة للعدر حتى قبل ، ولم يعلم عبد الله ماذا وراء هذا الالاح حتى خرج من الحمام واذا بجلالة الملك عبد العزيز يقف لعبد الله عند باب الحمام كخادم حمام يقدم بيده اليمنى المنشفة ، وفي اليد الثانية بذلته الملكية الخاصة ، ثم بعد ذلك قدم له قارورة من دهن الورد الملكي كان معدا لاستعماله الخاص .

يؤكد لنا عبد الله بأنه بعد ما رأى هذه المعاملة من هذا الملك المسرف في كرم الخلق ، وفي معرفته لنفسية العرب ، تبدد كل ما في كيانه من الشعور السابق ، وآلى على نفسه حينذاك بأن يكون أبدا على أتم الاستعداد لفداء عبد العزيز بنفسه وأهله وذويه .

* * *

ولما كان السر الذي مكن عبد العزيز آل سعود من سيادته للجزيرة وتوحيده لكلمة أبنائها هو معرفته لهذا الخلق ، فان من أوجب الواجبات على الزعماء العرب الذين أبرزتهم الاحداث، وجاءت بهم الملمات ، بل وعلى أي زعيم عربي سواء أكان مؤسسا أو موطدا عصاميا كان أو وراثيا ، على كل من تتيح له الفرصة أو تسنح له الظروف بالزعامة العربية ، أن يجعل هذه السجية ، أي كرم الخلق والتسامح، دستورا لحكمه ، وبراسا يهتدي به لتوطيد سيادته •

وبعد فقد وجه اليّ صديق من مثقفي العهد الحديث السؤال التالي : ألا تعتقد أن منطق الجيل الحديث يختلف كل الاختلاف عن منطق الجيل القديم الذي عاش بين ظهرائه الملك عبد العزيز ؟ فقلت لاشك بذلك ، وانما أود أن توضح لي ما تعني من الاختلاف؟ فقال : أما كان الملك عبد العزيز عندما يقدم لأي مواطن شيئا من الاشياء المعنوية أو المادية فان هذا الشيء يعتبر حسنة منه ومعروفا من جلالته في منطق وتفكير ذلك الجيل ؟

قلت : بلى •• فقال : أما ترى الآن أن التطور الفكري الجديد بلغ بالجيل الحديث ما يجعله ينظر الى تلك الامور التي كان يؤمن بها سلفه بأنها معروف واحسان ، أصبح ينظر اليها بأنها حق من حقوقه الطبيعية ، وانه هو والمملك فيما له علاقة بخزينة الدولة

سواء في الحقوق الوطنية؟ .. قلت : هذا هو منطق جيل العصر
الراهن ؟ قال : اذن ما بالك تطالب زعماء العصر الحديث في العالم
العربي بأن يسيروا على النهج الذي سار عليه الملك عبد العزيز
وهو لو عاش الى هذه الفترة لاضطرته الظروف الى احدي
الحالتين : اما أن ينحني مرغما تجاه مقتضيات العصر الجديد ،
ويسير وتطوره الفكري جنبا لجنب ، أو يذهب ضحية لتياره
الجارف اذا ما عاكسه ؟ ..

قلت لصاحبي : ان ما تشير اليه شيء لا أقول انه لم يخطر لي
ببال ، بل اني متيقظ له كل اليقظة ، ومدرك اياه أبلغ الادراك ،
وقد كنت عازما على أن أتحدث عنه في نهاية هذا البحث بوضوح .
اما وقد بادرني بالسؤال عنه فاني مجيبك بما هو آت :

لقد كنت ولم أزل مؤمنا بأن التطور الحديث الذي يداعب
خيال كل عربي ، سواء من أبناء هذه الجزيرة بصورة خاصة أو من
أي قطر عربي بشكل عام ، يختلف كل الاختلاف عن تفكير الجيل
التقديم الذي عاصره الملك الراحل ، كما أنني مؤمن أيضا بأن بعض
الاشياء التي كان يقوم بها الملك عبد العزيز نحو رجال عصره والتي
كان رجال ذلك العهد يعتبرونها كلها حسنات ، فان تفكير هذا
الجيل لا يستسيغها بل ولا يهضمها كحسنات ، ثم مضيت بالحديث

وصاحبي الى أن أكدت له قائلا : ولكن مهما تطور الفكر العربي بهذه السرعة فإن الامور المعنوية لازالت تؤثر على كيانه وشعوره أكثر بكثير من تأثير الامور المادية ، ولذلك تجدني مضطرا الى القول عن عقيدة ودراسة راسخة بعادات العرب وتقاليدهم ، بأن السر الوحيد الذي لا زال عقبة كأداء في سبيل توحيد الامة العربية، تلك الامنية التي تتوق لها نفسية كل مواطن من أبناء العروبة البررة المخلصين ، ان السر في ذلك لا أقول انه الاستعمار الرأسمالي الغربي ، ولا الاستعمار الشيوعي الفكري ، لا أقول هذا ولا ذاك، وان كان هذان العاملان من أهم العوامل التي كانت ولم تزل تسعى لتفتيت الامة العربية وتشتيت شملها ، ولكن العامل الرئيسي في نظري هو اختلاف القادة أنفسهم ، ولا أقصد اختلافهم بالنوايا الحسنة أو السيئة ، ولكنهم مختلفون في أمور جذرية ، وحتى لو سلمنا جدلا بصلاح قصد كل منهم ، فانهم مختلفون ومتباينون كل التباين في سياستهم بما ينسجم ونفسية الشعب العربي، حيث تجد كلا منهم يسير بسياسة تكون على طرفي نقيض من الثاني بالنسبة لمعرفة وادراك عقلية الشعوب العربية على مختلف نشأتها ونفسياتها واتجاهاتها . فبينما نجد زعيما مؤمنا بتطور العصر الحديث ، ويحاول أن يجاري هذا التطور بكل ما أوتي من قوة ، نرى انه

في نفس الوقت يجهل ما فطرت عليه النفسية العربية من خلق
وعادات من الصعب جدا نزعها والقضاء عليها بكل سهولة . وبينما
نجد الزعيم الثاني لا تخفى عليه النفسية العربية ، وهو ملم بعادات
العرب جيدا نجده يخفى عليه تطور الفكر العربي الجديد ، وهكذا
تتعثر الوحدة العربية ، وتذهب آمال الشعوب العربية وأمانها بين
أخطاء الزعيم الاول الذي يريد أن يملي ارادته بالقوة للانظمة
التي قد يصلح تطبيقها بعالم غير العالم العربي ، ولكن الخلق العربي
كما أشرت لا يطيق ولا يتحمل قبول أي شي يؤخذ منه بالقوة أو
يفرض عليه بالسيف . وربما ان هذا الشيء الذي يأخذه هذا
الزعيم من العربي قهرا قد يتنازل عن بعضه أو كله بمحض ارادته
بأسلوب يكون الى النخوة العربية والكرم أقرب منه الى القهر
والاغتصاب .

وأعتقد جازما انه بإمكان أي قائد محنك أن يقود العرب
ويستولي على مشاعرهم باسم المروءة والنجدة وما أشبه من الاشياء
العاطفية ، ولكنه لا يمكن لأي قائد كان ، مهما أوتي من القوة أن
يسوق العربي بالقوة حتى ولو كان الامر للمصلحة العامة أو الخاصة .
فالعربي يفضل أن يقاد للشقاء راضيا مختارا على أن يساق الى
السعادة مرغما مقهورا . فالخلق العربي الذي قال عنه عنترة
ابن شداد :

لا تسقني كأس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
كأس الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أفضل منزل
هذا الخلق لازالت جذوره باقية في نفسية العربي ، ورواسبه
متأصلة في كيانه ، وليس من السهل كما سبق الإشارة الى نزع هذه
العادات الراسخة من خلق العرب أحقابا طويلة .

ولذلك نجد أن رائد الامة العربية والاسلامية ، بل رائد
الانسانية ، محمداً عليه السلام ، لم يطالب العرب بالزكاة فور بدئته
بالرسالة ، بل جعل فرض الزكاة هي آخر ما فرض من أركان
الاسلام . ومع ذلك نجد ان الأعراب بعدما توفي الرسول محمد (ص)
ارتدوا عن الاسلام من أجل عدم رضاهم لدفع الزكاة ، ليس لشيء ،
بل لاعتقادهم انها مفروضة عليهم ، وانهم أجبروا على دفعها بدون
ارادتهم . ولهذا ارتد من ارتد عن الاسلام كله من أجل دفعه
للزكاة مرغما - حسب اعتقاده - مع العلم ان مثل هذه الزكاة
الجزئية قد تجد العربي يقدم عن كرم وطيب نفس لضيوفه ، ما هو
أكثر منها من ابله وغنمه التي ينحر منها ما ينحر ويذبح ما يذبح
بصورة اضعاف مضاعفة عما يطالب بدفعه للزكاة ، هكذا هو الخلق
العربي فاحكم عليه ما شئت حسنا كان أم سيئا .

ولكن هذا هو الواقع ، فينبغي للعربي ، وخاصة ابن

الجزيرة بحكم قرب عهده بالعادات العربية ، زمن طويل كيميهاضم
الاشياء التي يقبل هضمها الاوريون . هذه الحقيقة لم يدركها مع
الاسف بعض قادة العرب . واما الحقيقة المناقضة التي يدركها
القادة الاولون ولكنها خفية على القادة الآخرين كما أشرت ، فهي
مشكلة التطور الذي بدأ زحفه بشدة وعنف . هذه المشكلة بقدر
ما يلام الاولون لعدم ادراكهم للعقلية العربية التي تؤخذ - كما
أسلفت - بالمعنويات أكثر مما تساق وترغم بالماديات ، كذلك يلام
الآخرون الذين تجرهم رواسب الماضي الى الخلف ، ويهددهم تيار
التقدم الى الامام من حيث يشعرون أو لايشعرون . أجل بقدر ما
يقال عن جهل الأولين بنفسية العربي الذي يتنازل عن كل ما يملك
في سبيل الوفاء والمروءة والنخوة والسخاء عن كرم نفس ومحض
ارادة ، ولكنه يقاتل الى آخر نقطة من دمه من أجل درهم يؤخذ
من ماله قهرا أو يجبر على تركه غصبا، أو صخلة تؤخذ من غنسه غزواً،
بقدر ما يقال عن هؤلاء بجهلهم لهذه الناحية يقال أيضا عن الآخرين
الذين يجهلون عقلية الجيل الناشئ العربي الذي تختلف نظرتة
للحياة عن نظرة آباءه كل الاختلاف ، فبينما الآباء يرون ان كل
مظهر من مظاهر الحاكم من العظمة والابهة من خدم وسكن وركوب
وبنين ، هو دليل على جلاله قدر الحاكم وعلو شأنه ، بينما الابناء
يرون هذه الاشياء بعقل يخالف نظرة آباءهم مخالفة متضاربة وتكاد

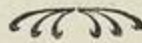
تكون بعيدة بعد المشرق عن المغرب • بل يرون الحاكم الذي يحق لهم أن ينظروا إليه بعين ملؤها العظمة والاجلال ، ذلك الحاكم المتقشف الزاهد بالابهة والمظاهر •

* * *

ومن المؤلم أنه عوضا عن أن يأتي مفكرون بعيدو النظر من أبناء هذه الامة ، يقفون موقف الوسيط بين الجانبين المتخاصمين ، لكي يسعى بالنصح للاول موضحا له أن برنامج سياسته هذه التي يحاول فرضها على عقلية الشعب العربي لا يمكن تطبيقها بالقوة والعنف اللذين يتنافيان والاباء العربي وتاريخه، وانما يمكن مجارة التطور الزمني بأسلوب يستطيع العقل العربي أن يهضمه بالتدرج حتى يألفه بارادة منه وبطيب نفس ، وفي الوقت ذاته ينصح الجانب الثاني ويصارحه بأن المظاهر التي كان يجعلها الاقدمون أصبحت موضع سخرية عند التقدميين ، والهبات التي تعتبر حسنة وكرما بنظر الاسبقين أصبحت بعين الناشئين اما فضولا أو حقا واجبا من حقوقهم التي لا يصح العبث بها •

أقول عوضا من أن يأتي من قادة الفكر من يقف موقف الوسيط بين الجانبين ، بدلا من ذلك نجد حتى هؤلاء مع الاسف يزيدون الرق اتساعا ، والخلاف نموا واطرادا ، ويلهبون النار اضطراما بين الجانبين بصورة تجعلهم ينقسمون قسمين : قسم منهم

يكون من أنصار هذا وخصوم ذلك ، وقسم يكون مواليا لهذا ومهاجما للثاني ، وكل من الحاكم هذا أو ذلك لا يسمع ولا يقرأ الا ما يدافع به الموالون عن خطيئاته وما ينشر من حسناته وما يعيبون به نداءه من العيوب ، سواء أكانت هذه العيوب صحيحة أو مختلقة؟ وهكذا يزيد رجال الفكر الصراع بين الجانبين شدة واحتداما، وعندما تسأل : لمصلحة من هذا الصراع ؟ يرد الجواب فورا : لمصلحة اسرائيل ، والاستعمار الشيوعي الفكري ، والاستعمار الغربي الرأسمالي ، ثم تسأل ثانية : على حساب من يكون هذا الصراع ؟ فيرد الجواب حالا : انه على حساب الشعوب العربية، وعلى حساب هذه الامة التي ستكون وحدها الضحية . ثم تسأل ثالثة : من المسؤول عن هذه الاخطاء بالدرجة الاولى ؟ فيرد الجواب : هم رجال الفكر المخلصون الذين يجب عليهم القيام بعبء هذه الرسالة ، وهي رسالة مقدسة ثمينة ، فيجب أن يسعى المخلصون بدور الوسيط ، يجب أن يسعوا بتقريب وجهات النظر بين هذا وذاك ، لان الخلاف بين أسرة كاسرتنا العربية لن تكون نتائجه الضارة على جيلنا هذا فحسب بل وعلى الاجيال القادمة، وعلى هؤلاء القادة أنفسهم .



استدراك

بعدها انتهيت من كتابتي لهذه الموضوعات اجتمعت بشخص
من الاصدقاء ودار بيني وبينه الحديث على النهج الآتي :

س - ألا ترى أن التطور في الجزيرة أصبح شاملا لكل معنى
من المعاني الحيوية ؟

ج - لا ريب عندي بذلك .

س - ألا تعتقد أن البلاد التي لم يكن فيها مجلس أمة يمثل
الرأي العام الشعبي ، لازالت بحاجة الى مزيد من التطور واليقظة؟؟
ج - هذا شيء مسلم به ولا يختلف فيه اثنان ، ولكن علينا
أن نعلم بأن موضوع مجلس الأمة سبق أن طالب به بعض الكتاب
في عام ١٩٥٩ الموافق ١٣٧٩ ولقد لقي عند المسؤولين شيئا من
القبول بصرف النظر عن كون هذا القبول سلبيا أم ايجابيا ، المقصود

انه لم يجد معارضة • وهذا بلا شك دليل واضح على ما نشير اليه من التطور ، لان مجرد الكتابة والمطالبة من أحد المواطنين بهذا الموضوع بالنسبة للماضي يعتبر تطورا وجرأة من المواطنين • اما ان الفكرة لم تلق اجابة عملية فهذا شيء آخر ، وعلى أي شكل فاني مؤمن بأن عموم الأشياء الحيوية تبدأ في أول الامر خيالا عند رجال الفكر ، ثم تنتقل من مرحلة الخيال الى مرحلة الكلام ، ثم تنتهي الى مرحلة العمل والتنفيذ • وما دام انه حصل البحث والكتابة والمطالبة من المواطنين بانشاء مجلس أمة ، فمعناه انه اذا لم تتحقق الفكرة اليوم فانها سوف تتحقق في الغد ان شاء الله •

س - هناك شيء آخر لم تشر اليه في كتابك هذا وهو موضوع الاحزاب ؟ •• فهل معنى ذلك انه لا يوجد أحزاب سياسية في البلاد ، ولا سيما ووجود الاحزاب السياسية ظاهرة من أبرز مظاهر التطور والوعي ؟

ج - أود أن أجيبك بأنني لست ممن يؤمن بأن كل شيء يأتي الينا من الخارج يجب أن نؤمن بأنه حسن ، وأن من لم يعتنقه ويأخذ به معناه أنه جامد ، لا أنا لست من أصحاب هذه النظرية ، ولما كنت عارفاً جداً بالعقلية القبلية فاني عندما أنظر قضية الاحزاب بدقة وعمق لا أقول انها لم تأت الينا بأية معنى من معاني التقدم والرقي فحسب ،

بل أقول انها عادت بنا الى الخلف ، وخاصة الاحزاب التي شاهدنا مرضها في شرقنا العربي ، فكل ما يقال عن أمثال هذه الاحزاب هو أنها تقوم على مبدأ أشبه ما يكون بمبدأ التحيز القبلي ، بسظهر تقدمي ، فالحزب من حيث الشكل والمظهر يوحى للسطحيين بأنه يقوم على أسس مدروسة ومبادئ قومية تقدمية انسانية الخ ... من العبارات المغرية . ولكنه من حيث الحقيقة والواقع هو عبارة عن كتلة متحيزة متكاتفه تحيزاً محدوداً على مصالح أبناء الحزب المشتركة بصورة تكاد أن تكون أشد وأعنف من تحيز وتعصب القبيلة ، في سبيل سيادتها وغزوها وسلبها . فكما ان القبيلة لا تؤمن بمجد أية قبيلة سوى مجدها، فكذلك الحزب لا يؤمن ولا يدعن ولا ينقاد لأية زعامة كانت ما لم تكن هذه الزعامة منبثقة اما من صميم الحزب أو مذعنة وسائرة لقيادة الحزب بدون قيد ولا شرط . والفرق بين التحيز القبلي والتحيز الحزبي هو ان الرابطة التي تجمع ابن القبيلة بابن قبيلته غالباً ما تكون رابطة معنوية كرابطة الدم أو البيئة أو العقيدة الروحية ، بينما نجد الرابطة التي تجمع الحزبيين بعضهم ببعض قد تكون عند الشباب الطيبي القلب رابطة عقائدية . . ولكنها عند قادة الحزب والاذكياء منهم هي رابطة مصلحة لا غير . والفرق الثاني هو أن رجال القبيلة يتعصبون في

سبيل مصالحهم المشتركة بصورة علنية لا لف فيها ولا دوران
ولا مخادعة ، بينما نجد رجال الحزب يتعصبون لحزبهم كتعصب
البدوي لقبيلته • الا ان الحزبي يخادع السذج بأنه لم يتعصب الا
في سبيل المبادئ العامة لافي سبيل مصلحته أو مصلحة حزبه
الخاصة •• وخلاصة القول هو ان النظام الحزبي في شرقنا العربي
عبارة عن نظام قبلي بطابع تقديمي حديث •

س - معنى ذلك بأنك لا ترغب أن يكون للحكومة أية معارضة
حزبية •

ج - لا لست أقصد ذلك • انني أرى أن الحاكم مهما كان
عادلا اذا لم يكن ثمة معارضة قوية تنبهه على زلله وخطيئاته فمعنى
ذلك انه سوف يخطيء من حيث لا يعلم ، أو يخطيء وهو يعلم أنه
يخطيء ، ولكنه لا يهتم لتصحيح خطيئته ما دام واثقا بأنه ليس
مسؤولا ولا معايبا على خطيئته • ولشد ما يزيد الحاكم تماديا في
الخطأ عندما يثق انه ليس ثمة معارض لتصرفاته الخاطئة ، وهذه
قاعدة مألوفة في طبائع البشر ، ليست مقصورة على حكومة أو
حاكم دون الآخر • ولذلك تجدني أو من بأن المعارضة لأية حكومة
كانت ضرورة لا بد منها ، ولكني لا أو من بالمعارضة القائمة على
أساس حزبي ، لاني كما أمقت المعارضة على أساس قبلي أو اقليمي ،

كذلك أكره المعارضة القائمة على أساس حزبي ، لأنها غالبا ما تكون معارضة في سبيل الزعامة والمصالح الخاصة لا في سبيل المبادئ العامة .

س - مادام انك ترى أن قيام الاحزاب على الاسس التي أشرت اليها لا يدل على معنى من معاني التطور فهل تعرف شيئا آخر من المعاني التي توحى بأنها من مظاهر التطور والحضارة بينما هي في الواقع خلاف ما تنعت به .

ج - نعم أعرف شيئا هاما قد يعبر عن مظاهر التطور بينما هو في الحقيقة مظهر من مظاهر فناء البشر وبادتهم .

س - ماذا تعني بذلك ؟

ج - أقصد تطور العقلية البشرية في سبيل محاولة افنائها بعضها بعضا . . من أجل السيطرة وفرض النفوذ، لقد كان الانسان البدائي رغم سطحيته أقرب انسانية من انسان عصر النور والتطور كما يقال . . فمثلا كان الانسان فيما سبق اذا حارب أخاه الانسان كانت الحرب تدور بين فريق وفريق بالحجارة فقط، فيجرح من يجرح من المحاربين ، ويشج رأس من يشج رأسه ، وقليل جدا ما تقع خسائر قتلى بين المتحاربين . أما الآن فقد انتزعت الرحمة الانسانية من بني الانسان ، وتطور العقل البشري،

لا باتقان الاشياء التي تعود على البشرية برفاهية العيش والرغد
والحياة الهنيئة السعيدة ، بل تطور العقل في سبيل صنع واختراع
القوة التي تبديد ، لا المحاربين فحسب ، بل تبديد النساء المخدرات
والاطفال الرضع والشيوخ العاجزين • مع العلم بأنه لو صرف
هؤلاء المتصارعون على ابادة البشرية ما ينفقونه في سبيل سباق
التسلح ، لما يعود لصالح شعوبهم من مشروعات صناعية وزراعية ،
لو وفقوا لذلك ، لعاش جميع البشر بهناء وسعادة ، ولما احتاج
الامر الى هذا التطاحن الشنيع • وما دام قادة البشرية بهذا العصر
يؤمن كل منهم بأنه لو وقعت حرب ثالثة فان معنى ذلك فناء
البشرية ، ولكنهم برغم ايمانهم هذا تجد سباق التسلح بين الجانبين
قائما على قدم وساق •• فهل بعد ذلك يصح أن نؤمن بأن ما جاء
بهذا العصر الحديث كله حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه ، وانه يجب أن نسايق وراء التطور هذا بدون قيد ولا شرط؟
أو ان الاجمل بنا أن نأخذ ما كان حسنا منه ونقلع عن الشيء
السيء منه •

وهذا هو المبدأ الذي أومن به •

س — ما رأيك في التأميم ؟

ج — أنا أومن بالحرية ، وأكفر بكل شيء يسلب قهرا بدون

حرية المواطن ورضاه لانه لم يكن للتضحية الوطنية اي معنى من المعاني عندما يكون الشيء مأخوذ اجباريا من صاحبه كما اني في نفس الوقت لا أومن بأن ينعم فرد بعشرات الملايين أو مئاتها على حساب تعاسة آلاف المواطنين بل أفضل أن يكون ثمة محاسبة على مبدأ من أين لك هذا ؟ كما فعل عمر بن الخطاب في ولاته • فان أثبت المسؤول بالادلة القاطعة والبراهين المعقولة بأن ما في حوزته من المال انما هو من عرق جبينه وكسب يمينه فيتركوشأنه ، وان لم يثبت فمعناه انه اختلاس من مالية الوطن ، فمن أخذ من مالية الأمة بدون حق حري به أن يعيده اليها بحق مشروع •



النهاية

سبق ان أشرت بأن أكثر المواد المثبتة في هذا السفر ، أو كلها ،
انما كنت أستمدّها من ذاكرتي ، ما عدا الاشياء الآتية : البيان
الخاص في وزارة المعارف الذي نوهت بأني استحصلت عليه
من الملحق الثقافي السعودي في بيروت . وكذلك ما له علاقة
بالصحة ، فقد استحصلت عليه من الملحق الطبي السعودي في
بيروت أيضا ، واما عدد الطرق المعبدة والموانئ والمطارات فقد
استوفيتها من وزير المواصلات سابقا صديقنا الشيخ عبد الله السعد
حيث اجتمعت به في بيروت .

ومما لاشك فيه بأني لو كنت في المملكة أثناء قيامي بتأليف
هذا السفر ، أو لو فكرت في تأليفه في فترة تخولني أن أذهب
للمملكة ثم أعود قبل أن تنتهي مأذونيتي المحدودة ، لو فكرت في
ذلك ، لكان بالامكان أن لا أترك شاردة ولا واردة من الاشياء

التي تستحق الإشارة الا أحصيتها ، وخاصة بعد فترة التطور ،
اما ما كان في الفترة الاولى والثانية ، فاني أعتقد انه لم يفت علي
شيء من الامور الهامة الا أشرت اليه ، وعلى أية حال فاني أرجو
من القارئ الكريم أن يتجاوز عما قد يصادفه من السهو والنسيان ،
وهما من طبيعة الانسان ، وان يذكر بأن فكرة الكتابة في الموضوعات
التي عالجتها ، وان كانت تداعب خيالي من الاساس ، الا اني لم
أكن أتصور بأن أخرج هذا الخيال الى حيز الوجود الا بتأثير
مناسبة طارئة كان الباعث اليها كتاب أهدانيه الزميل الاستاذ زياد
محمد الشواف • ولما كان الكتاب بعنوان « التطور الفكري للعالم
العربي في القرن العشرين » فقد كان هذا العنوان من أهم
الحوافز التي دفعتني للامام لكي أخرج هذا السفر ، أي اني
وجدت في العنوان المذكور ما ينسجم أبلغ الانسجام مع ذلك
الخيال الذي كنت أهيم بقله كفكرة ، وهكذا وجدتني أنساق
عفوآ الى ابتدار العمل بعدما أخذ مني هذا العنوان مأخذه ، فكان
هذا الكتاب •

هذا وأسأله تعالى أن يعين علي أن أكتب في هذا الموضوع
كتابة أشمل وأفسح مما أثبت في سفري هذا عندما تسنح لي أدنى
فرصة مناسبة •

بيد أنني لا أجد بدءاً من أن أختتم بالإشارة الى ناحية هامة،

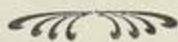
تلك التي تشغل تفكير كل مواطن مخلص من أبناء الجزيرة العربية، بل كل مخلص من الناطقين بالضاد جميعا ، وأعني ما نشعر به عن بكرة أينا من الضرورة الماسة لمسيرة ركب التطور الحديث بكل ما نملك من القوة ، على أن لا نأخذ إلا بما كان حسنا نافعا . هذه الناحية أجد أن الكثير من التقدميين ، متشائمون فيها تشاؤما يبلغ حد الاسراف . وانتي لأشاركهم تشاؤمهم هذا في كثير من الاحيان، ولكن بدافع العاطفة لا أكثر ، لانني عندما أحكم المنطق والعقل أجد ان هذا التشاؤم وان كان فيه شيء من الحقيقة ، ولكنه لم يكن الحقيقة كلها ، وانما الحقيقة التي ينبغي الركون اليها هي اننا اذا أردنا ان ننظر الى الجزيرة ، بنفس العين والعقل الذي ننظر فيه الى البلاد التي سبقتنا بالرقى والحضارة ، كأوربة مثلا أو الولايات المتحدة الامريكية ، بل وحتى البلاد العربية المجاورة ، ما عدنا اليمن ، اذا أردنا ذلك فاننا نكون قد أخطأنا في تقديرنا بل وظلمنا أنفسنا في تفكيرنا ، وذلك اننا اذا سلمنا جدلا بأن أبرز مظاهر التقدم للأمم هو العلم ، وقد سبق أن أكدت بأنه لا يوجد في شرقي الجزيرة وشمالها منذ عشر سنوات ونيف من يستطيع أن يكتب جملة واحدة في احدى الصحف ، كما انه لا يوجد أية مدرسة علمية على الطراز الحديث ولا يوجد في تلك النواحي من أقصاها الى أدناها منزل مبني بالحجر أو الاسمنت ، بما في ذلك مسكن الملك الراحل

عبد العزيز رحمه الله الذي عاش وتوفاه الله وهو في بيت من الطين .
كما انه لا يوجد في جميع هذه البلاد أية اضاءة كهربائية . ولا يوجد
ولا يوجد الخ . . أجل فنحن عندما نقارن بين ساكني الجزيرة ،
وبين ساكني أوربة ، من الناحية التاريخية ، فنجد مثلا ما يسميه
الاوربيون العصور الوسطى ، أو عهد الظلمات من حيث التخلف
بالحضارة ، نجد أن ذلك العهد يتدء عام ٣٩٥ وقد ظلت أوربة
تعيش في دياجير الظلمات خلال تلك المدة . ولم يبد عهد اليقظة
والعلم الا في مطلع القرن الثامن عشر ، ومعنى ذلك ان المدة بين
العصور الوسطى والتطور الفكري في اوربة هي ألف وثلاثمائة
عام . ومن هنا يبدو الفرق الكبير بين المدة التي تعتبر عندنا في
الجزيرة أشبه ما تكون بالقرون الوسطى عينا بعين ، وخاصة في
بداية الفترة الاولى في أول القرن العشرين الذي أكدت في الصفحة
الثامنة من هذا الكتاب بأن تلك الفترة صورة طبق الاصل للحياة
الجاهلية من حيث العادات والبيئة والحياة الاجتماعية ، اللهم الا
من حيث الحياة الديمقراطية ، والحرية الكاملة التي يتمتع بها
العربي سواء قبل الاسلام ، أو بعده ، فاذا كان فرق العهد في اوربة
بين القرون الوسطى وفترة التطور ١٧٠٠ عام ، أفلا يصح أن نكون
متفائلين أكثر من أن نكون متشائمين عندما نقارن بين فترة التطور
لدينا فنجدها لم تزد على اثني عشر عاما ان لم يكن أقل ، بينما هي

تعد مئات السنين بين عصر الانحطاط وبين فترة التطور في أوربة؟
هذه الناحية يجب أن ننظر إليها بعين الاعتبار ، وأما الناحية الثانية
فهي اليون الشاسع البعيد عندما تقارن بين المناخ والجو والتربة في
الجزيرة ، وبين المناخ والجو والتربة في أوربة ، بل وحتى في البلاد
العربية المجاورة ، فالجزيرة كما وصفها بعض الكتاب هي « كراس
الغزال » أي عظما بلا لحم ، فلا أنهار ولا غابات ولا سدود ، ولا
أي شيء يذكر من مقومات الحضارة ، اللهم الا « البترول » الذي
تفجر منذ عهد قريب ، ومما لاشك فيه أن للجو والمناخ تأثيرا على
النمو الفكري ، الامر الذي جعل من تلك البلاد ، أي البلاد
الاوربية من رجال الفكر العدد الجم بحكم تأثير الجو والتربة
والمناخ ، ومعلوم أن رجال الفكر هم قادة الاصلاح ، ومن هذه
الناحية نجد أن البلاد لا زالت بحاجة الى المزيد من رجال الفكر
المخلصين ، لان التطور الاصلاحى لا يأتي دائما الا عن طريقهم ،
ولما كانت البلاد كما أشرت خلوا من الرصيد الكافي من أصحاب
النضج الفكري ، وهذا لا يتيسر الا بعد فترة ليست مرتجلة ، وما
دام ان الموجود من هذه الفئة على ما فيهم من البركة والاخلاص ،
ويندر أن نجد مفكرا أو كاتباً ، مشغولون في كسب العيش ،
يستطيع أن يوحد جهوده ويمضي قدما في تأدية رسالته
الفكرية على أكمل الوجوه ، معرضا نفسه لكل ما يلاقه في سبيل

رسالته هذه من عقاب أقله الطرد من وظيفته ، أقول ما دام أنه لا يوجد الكاتب أو المفكر الذي لو قام بمهمة كهذه وأبعد عن عمله يستطيع أن يكون لديه من أسباب الكسب ما يغنيه عن وظيفته ، فانه لا ينبغي والحالة هذه أن نكون متشائمين متطيرين الى درجة الاسراف ، بل الواقع هو اننا اذا تجردنا عن العاطفة وحكسنا المنطق والعقل فاننا نجد البلاد ، وان كانت بالنسبة لمن ينظر لتطور العصر الحديث لاتحفها نظرة التفاؤل ، ولكن بالنسبة لمن ينظر لتاريخ نشوء الامم ومقدار المدة التي استغرقتها في سبيلها الى التطور ، فانه يجد ولا شك أن الجزيرة قد لا يأتي عليها مدة قريبة حتى يواتيها من التطور الفكري ما لم تحلم بمثله •

وكل ما أرجوه أن توفق البلاد الى شباب يحمل حنكة الشيوخ وتجاربههم ، والى شيوخ يحملون همة الشباب ونشاطهم • فتسير عجلة الوطن بهما الى الغاية المرجوة وتستعيد الجزيرة مجدها الاول حيث كانت منارة للاشعاع الروحي والفكري • والله الموفق وهو على كل شيء قدير •



تعقيب

لقد فاتني أن أذكر بعض الاشياء كتعليم البنات • الذي فتح على مصراعيه ، في هذا العام ١٣٨١-١٩٦٢ • ومدارس البنات لم تكن تابعة للمعارف بل تابعة للمفتي الكبير الشيخ محمد ابن ابراهيم ، كما فاتني الاشارة الى وفرة الفنادق خاصة في مدينة الرياض تلك الفنادق التي تعتبر من أروع الفنادق في الشرق العربي علما بأنه منذ سبع سنوات لم يكن في الرياض أي فندق • كما انه لا يوجد كهرباء ، الا الكهرباء الخاصة بالحكومة ••• أما الآن فقد وجد شركة كهرباء شعبية في الرياض • وفي القصيم • واما قريب سوف لا يبقى بيت في المملكة الا دخلته الكهرباء • وقد كان الماء يدخل المساكن بواسطة السقاية • أي يحمله رجل أو امرأة فيدخله المنزل بواسطة القربة أو بواسطة أخرى من

الآنية ، وكان ذلك في عموم الجزيرة بصورة عامة ، أما الآن فقد أصبح الماء يدخل للمنازل بواسطة الانابيب •

هذا وانه ليطيب لي أن أشير الى ما جاء في صفحة ٧٨ من هذا الكتاب بشأن دية المقتول خطأ ، حيث ذكرت بأنها ثلاثون ألف ريال ، وقد أكد لي بعض الاخوان بأنه شاهد شخصا قتله سائق سيارة خطأً هذه الايام في البلاد فدفعت الدية عشرين ألف ريال •



الفهرس

١	الاهداء
٣	التمهيد
٧	المقدمة

الفترة الاولى :

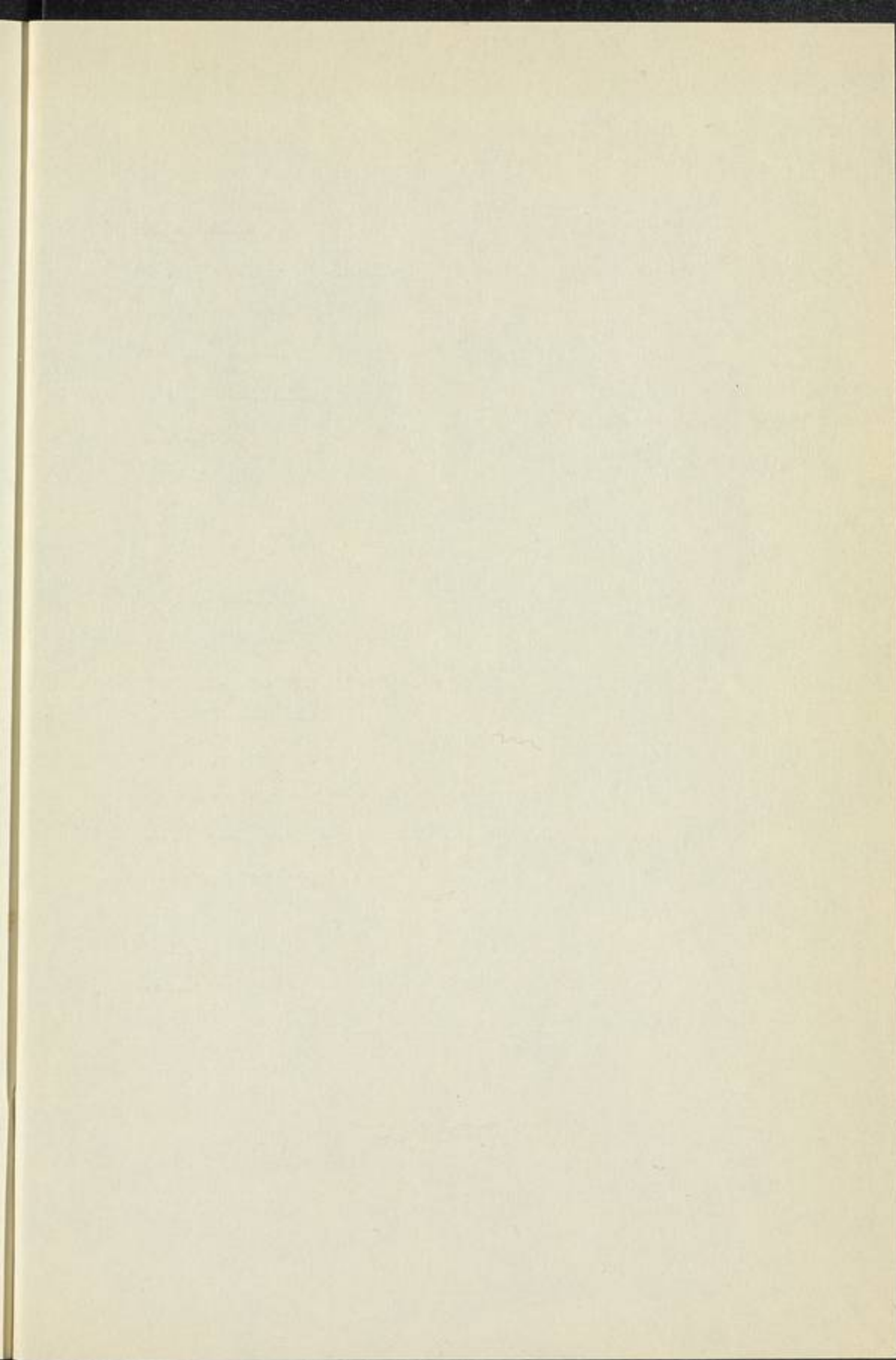
٩	
١١	الناحيتان الاقتصادية والاجتماعية
١٣	الناحيتان الزراعية والصحية
١٧	ناحية المواصلات
٢٦	نظام الحكم
٢٩	الامن
٣٤	التكامل الاجتماعي
٣٧	الناحية الصناعية
٣٩	الناحية التجارية
٤٢	الحياة الديموقراطية
٥٠	الطابع البارز على محيا المجتمع

الفترة الثانية :

٦٥	
٦٧	التطور في شتى النواحي

٧٥	الفترة الثالثة :
٧٧	الحياة الاقتصادية والاجتماعية
٨٢	الناحية الزراعية
٨٤	الناحية الصحية
٨٨	الناحية الثقافية
١٠٢	المواصلات
١٠٥	التطور في نظام الحكم
١٠٨	الصناعة
١١١	التطور في السلك الخارجي
١١٣	الناحية التجارية
١١٥	التكافل الاجتماعي
١١٩	الطابع البارز على شعور المجتمع في فترة التطور
١٢٤	الحياة الديمقراطية
١٤٢	الصراع بين الجديد والقديم
١٥١	التوفيق بين الجديد والقديم
	السر الرئيسي الذي مكن الملك عبد العزيز آل سعود
١٦٤	من توحيد الجزيرة وسيادتها
١٨٣	استدراك
١٩٠	النهاية
١٩٦	تعقيب
١٩٩	الفهرس





آثار المؤلف :

- ١ من شيم العرب « الجزء الاول » .
- ٢ هكذا يكون الاصلاح .
- ٣ بين الاصلاح والافساد .
- ٤ هكذا نصلح اوضاعنا الاجتماعية .
- ٥ قالها الصهاينة وصدقها مفلو العرب .

تحت الطبع :

- ١ من شيم العرب « الجزء الثاني » .
- ٢ عميد الأدب الشعبي وملهب الشعور القومي محمد العوني .
- مع مختارات من شعره .
- ٣ العرب امة واحدة .

T

- 1. [faint text]
- 2. [faint text]
- 3. [faint text]
- 4. [faint text]
- 5. [faint text]

B

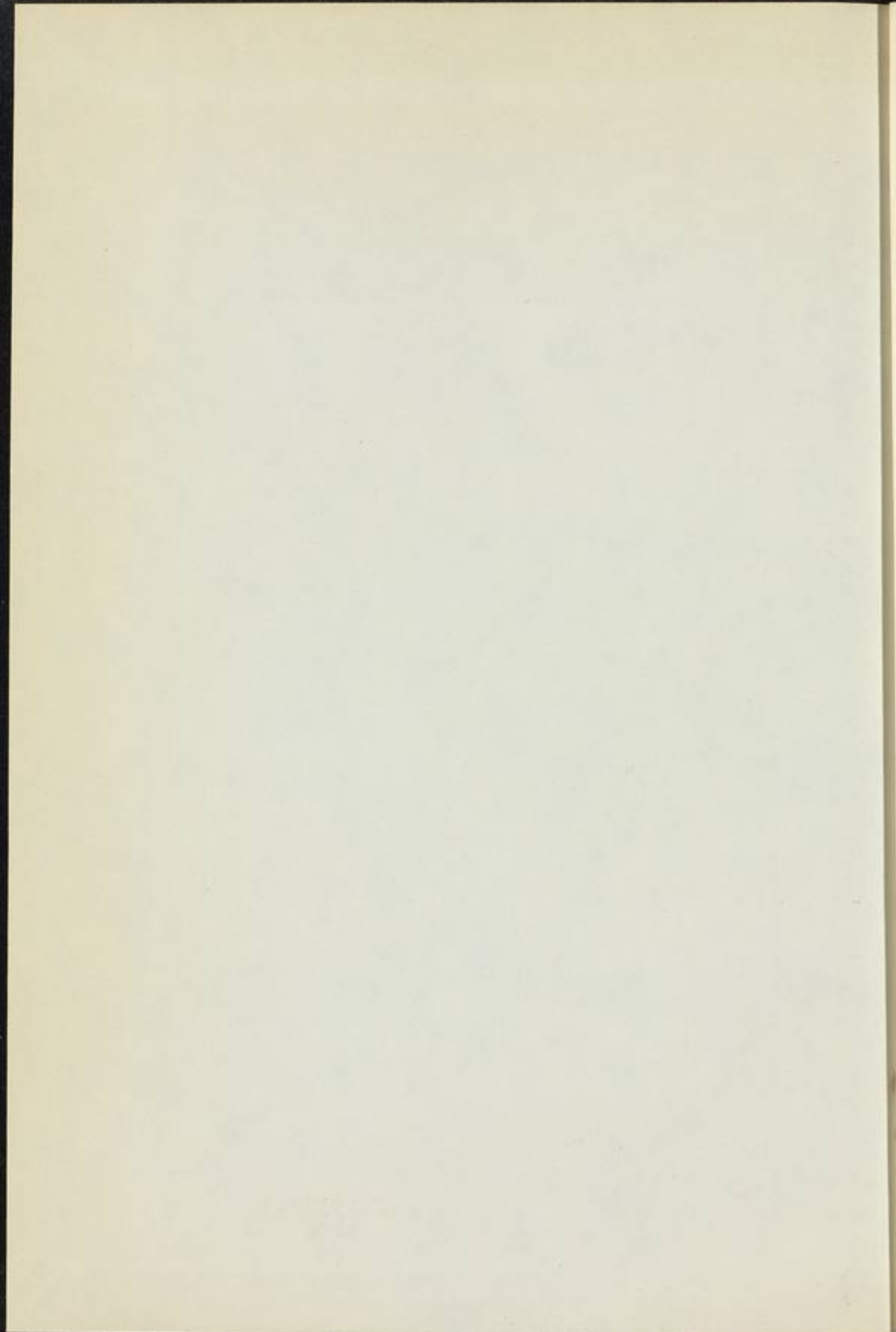
S

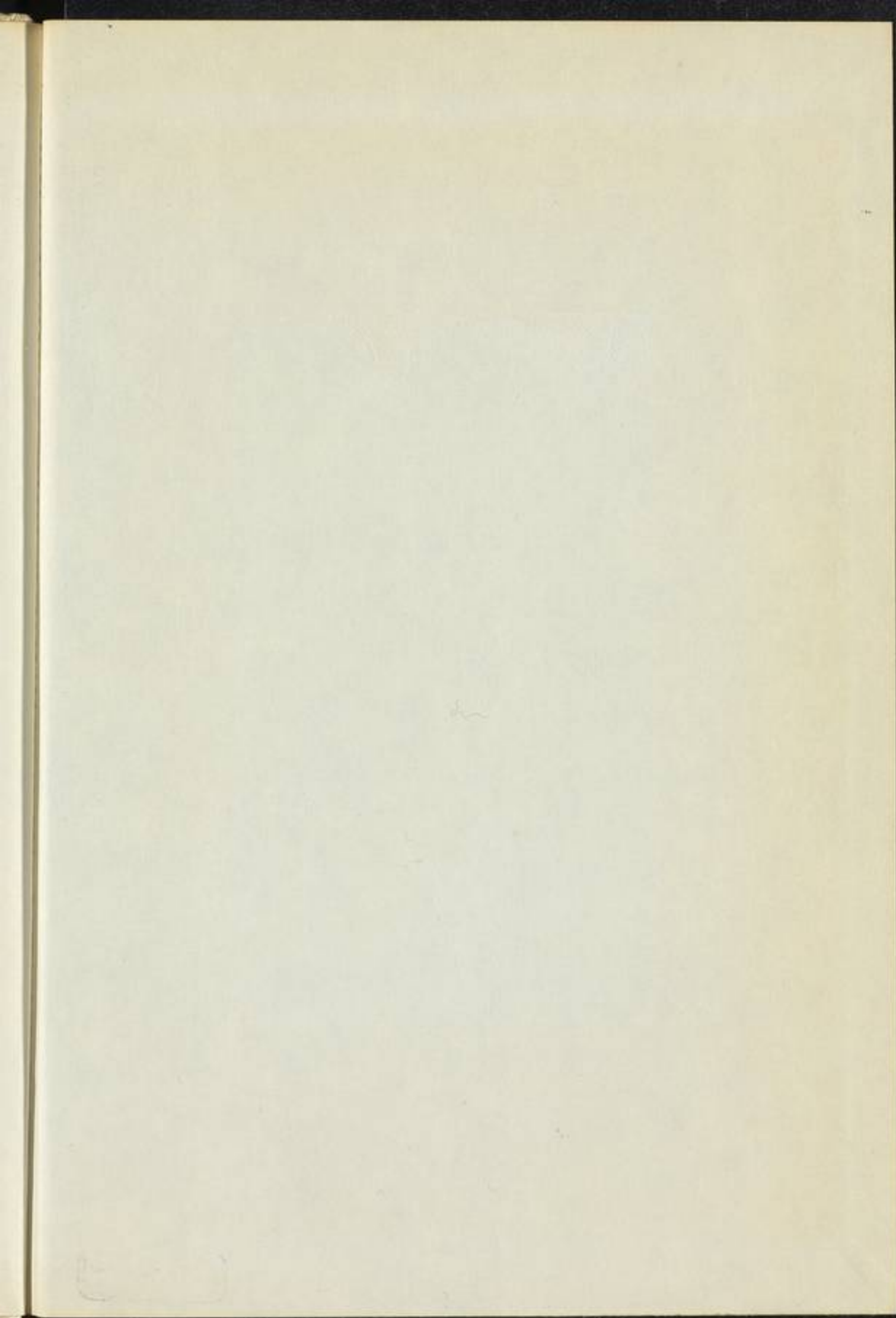
- 1. [faint text]
- 2. [faint text]
- 3. [faint text]
- 4. [faint text]

0 4 1 5

PB-35787-A
5-04
cc

0









كلمة الناشر

إذا كنت حريصاً على معرفة

- * ما كان عليه جيل الجزيرة بالأمس القريب من عادات وتقاليده.
- * ومدى التطور الخطير الذي يتمتع به هذا الجيل اليوم وقد فاجأته الاحداث بصورة خاطفة مذهلة ، فتحوّل من الجمل الى النفاثة .
- * وانخفاض درجة الوعي القومي بالأمس ، ومقدار سموه وارتفاعه لا يمانا هذه .
- * وما يتمسك به الأقدمون ، وما يطالب به التقدميون .
- * والحل الوسط بين الأقدمين والتقدميين .
- * وكنه السر الحقيقي الذي مكّن للملك عبد العزيز آل السعود سيادة الجزيرة وتوحيد شملها وكلمتها .
- * وتاريخ الجزيرة في الماضي والحاضر ، وما ينبغي أن يستشرفه في المستقبل .

إذا كنت حريصاً على هذه المعاني الحية

وهي مما لم يسبق لكاتب أن أشار إليها بوضوح

فما عليك الا أن تطالع ما انضمت عليه دفئا هذا السفر
الموجز بلفظه ، الشامل بمعانيه ، الغني بما فيه